

المستشرقون العربيات

大世界 同界

للكتور ا. ج. آربري

المستشرقون البريطانيون

أخرجت هذا الكتاب شركة آدبرنت لمتد

طبع

في بريطانيا العظمى

CLARKE & SHERWELL LTD NORTHAMPTON

عطمة

المُسْتَشَرُّ فِي الْبِرِّ وَالْإِيْمَانِ

لِلْكَتَوْرَا. ج. آربري

تَعْرِيفُ الْكَتَوْرَا مُحَمَّدًا دَسَوِي التَّوْبِي

مَجْلَدُهُ بَيْنَافِي لَوْحَاتٍ مِلُونِيَّةٍ

هذه دراسة رائعة شائعة الجانب لا يزال مغفورا مما انصفت به الروح
البريطانية من الاقدام والجد في طلب العلم . والاستاذ اربري
هو نفسه مستشرق ينهج نهج السير وليم جونز ، و ا. ج. براون ، و
ا. ه. بالمر ، وسائر أولئك الرواد البريطانيين الذين لم تقتصر لهم
عزبة والذين حملوا على كاهلهم مهمة جعل أدب الشرق ومعرفته
في متناول الغرب ، بتأليفهم أول كتب نحوية وتصنيفهم أول المعاجم
اللغوية لكثير من اللغات الشرقية . وفي مقدورنا أن نحصل على
فكرة ضئيلة عن ضخامة أعبائهم والمشقات التي واجهها أولئك
المستشرقون الأوائل ، حين ندرك أن في الهند وحدها أكثر من
ثمانمائة لغة ولهجة مختلفة كان لازما تمييزها وتحليلها .

ما أشد فقر الأدب الانجليزي لو حرم من ترجمة لين لألف ليلة
وليلة ، ومن ترجمة فترجرالد لعمير الحيام ، ومن كتاب دوق
« بلاد العرب الصحراوية » ، ومن كتاب لورنس « أعمدة الحكمة
السبعة » ، وما أكثر ما تفقده الدراسة البريطانية من البهاء والفخار
لو جردت مما قام به كبار المستشرقين البريطانيين في الأمس واليوم ،
من مفاخر نجدها معددة في هذا الكتاب .



فهرست الصور

لوحات ملونة

صورة فتى يقرأ

صورة فارسية دقيقة الصنع من عمل رضا عباسى طبقاً لمحمدى الهروى .
اوائل القرن السابع عشر .

الامبراطور شاه جهان يزور معلماً

صورة هندية دقيقة الصنع . المدرسة المغولية . القرن السابع عشر .

إله المعرفة يتجلى لطالب علم

صورة صينية ملونة . القرن الثامن عشر .

التختروان

صورة ملونة على الحجر من صنع رتشارد بيرتون . مأخوذة من كتابه
« حجة إلى المدينة ومكة » . سنة ١٨٥٥ .

السير وليم جونز ١٧٩٤-١٧٤٦

صورة زيتية من صنع السير يوشع رينولدز .

مكاو - المدينة الصينية

صورة ملونة بالألوان المائية من صنع فنان صينى . القرن التاسع عشر .

الدكتور جيمز ليچ مع ثلاثة طلاب لاهوتيين

فى هنجكنج . حوالى سنة ١٨٤٣

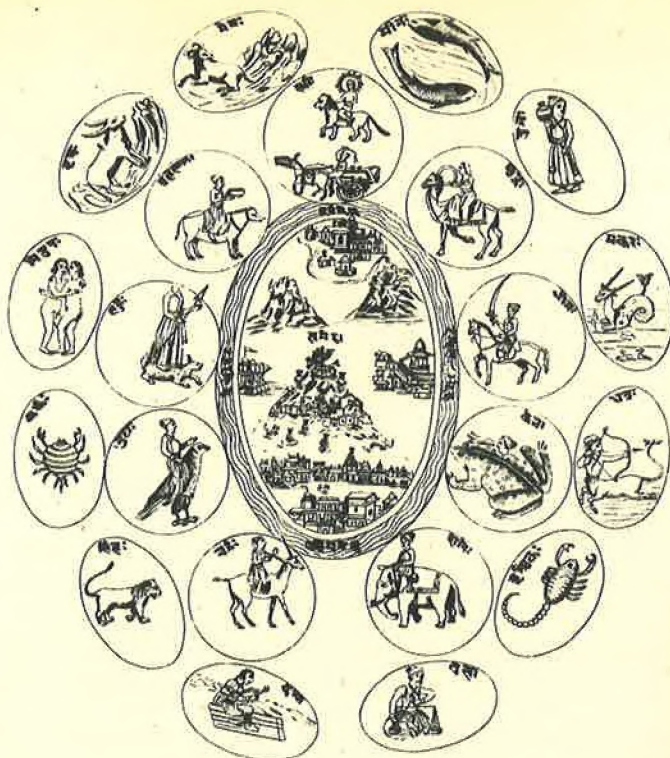
صورة زيتية من صنع هـ. روم .

رسوم غير ملونة

- | صفحة | صفحة |
|---|---|
| ٢٦ | ٧ |
| تصوير من مخطوطة فارسية . الصورة الانتاجية | دائرة بروج شرقية . رسم من كتاب « حديث عن |
| لرباعيات عمر الخيام ترجمة ادوارد فترجيرالد . الطبعة | دائرة البروج الهندية » للسير وليم جونز . سنة ١٧٩٩ |
| الرابعة سنة ١٨٧٩ | ١١ |
| ادوارد فترجيرالد ١٨٠٩-١٨٨٣ . تصوير | « رسم والمارد الأبيض » . نسخة لتصوير في |
| بالقلم الرصاص لسيدنج | مخطوطة فارسية للشاه نامه نفر ، قام بترجمتها و . اوسلى |
| ٢٧ | ١٢ |
| قصر الامبراطور المغولى العظيم بدلهي . رسم | مجموعة لحجوم برشاوس . تصوير انجليزى يرجع إلى |
| محفور مأخوذ من كتاب « آسيا » لجون اوجلي | حوالى سنة ١٤٩٠ مستند من مصادر عربية (مخطوطة |
| سنة ١٦٧٣ | اروندل رقم ٦٦ ورقة ٣٦) . سمح بنشرها امناه |
| | المتحف البريطاني . |
| ٣١ | ١٣ |
| رَق سنسكريتي محبوب من بنغال . مأخوذ | مجموعة لحجوم برشاوس . تصوير مأخوذ من مخطوطة |
| من « المجموعات الشرقية » سنة ١٧٩٨ | عربية (مخطوطة بارسية رقم ٥٠٣٦) |
| ٣٤ | ١٥ |
| ه. ت. كولبروك ١٧٦٥-١٨٣٤ . رسم محفور | الدار القديمة لشركة الهند الشرقية بلندن . |
| من صنع أنكنسن طبعا لرتشمند . سمح بنشره الجمعية | رسم محفور . سنة ١٧١١ . سمح بنشرها وزير الهند . |
| الاسيوية الملكية . | ١٧ |
| السير تشارلز ولكنز ١٧٤٩-١٨٣٦ . رسم محفور | وارين هيستجز ١٧٣٢-١٨١٨ . صورة زيتية |
| من صنع سارتين طيقال ج. ج. مدلتون سنة ١٨٣٠ | من صنع جورج رومنى . سمح بنشرها وزير الهند . |
| سمح بنشره الجمعية الاسيوية الملكية . | ١٩ |
| مدخل نهر بدائج . رسم محفور على النحاس | سلطانيه . ببلاد الفرس . رسم محفور من صنع پ . |
| الاجر مأخوذ من كتاب « تاريخ سومطرة » لمؤلفه | شك سنة ١٧٠٢ . سمح بنشرها قاعة باركر للصور |
| مارسدن سنة ١٨١١ | بلندن . |
| ٤٣ | ٢١ |
| مفردات صينية . من « المجموعات الشرقية » | تشارلز دوتى ١٨٤٣-١٩٢٦ . صورة بالألوان |
| سنة ١٧٩٨ | الجماعة من عمل اريك كننجن سنة ١٩٢١ . سمح بنشرها |
| | قاعة الصور الاهلية . |
| | ٢٣ |
| | شاعر فارسي يرفع مدحة شعرية إلى أمير مغولى |
| | الصورة الانتاجية لكتاب « تاريخ فارس الأدنى » لمؤلفه |
| | ا. ج. براون . من مخطوطة بمكتبة وزارة الهند . |

زخارف

- | صفحة | صفحة |
|---|--|
| ٤٧ | ٥ |
| تقد فضى شرقى . من « المجموعات الشرقية » | شريا . تصوير مأخوذ من كتاب « حديث عن آلهة |
| سنة ١٧٩٨ | اليونان وإيطاليا والهند » . لمؤلفه السير وليم جونز ، |
| | سنة ١٧٩٩ |



دائرة بروج شرقية . رسم من كتاب «حديث عن
دائرة البروج الهندية» للسيروليم جونز . سنة ١٧٩٩

مقدمة

ما هو الاستشراق ، وما كنهه المستشرق ؟ من الخلق أن الكاتب حين يعرض لمثل هذا الموضوع الواسع الذي لا يزال الجهور على غير معرفة به ، يحسن به أن يحاول الوصول إلى اتفاق بينه وبين قارئيه حتى يتعرفوا موقفهم تعرفاً صحيحاً . ومما يزيد من ضرورة هذا التفاهم أن الاستشراق — ومثله في ذلك مثل كثير من فروع العلم الأخرى — قد تخطى حدوده إلى ميادين تسمى في حقيقتها إلى علوم أخرى مستقلة عنه وإن كانت مجانسة له ، حتى أن المستشرق في هذه الأرض التي لا تسمى لأحد — أو بعبارة أصح التي تنتمي لكل أحد — يشارك في عمله عالم

الآثار والحفريات ، والمؤرخ ، وعالم الصرف والاشتقاق ، وعالم الأصوات ، والفيلسوف ،
اللاهوت ، والموسيقى ، والفنان .

والمندلول الأصلي لاصطلاح (مستشرق) كان في سنة ١٦٨٣ (أحد أعضاء الكنيسة الكاثوليكية
أو اليونانية) . وفي سنة ١٦٩١ وجدنا آتوني وود يصف صمويل كلارك بأنه (استشراقي) نا
يعني بذلك أنه عرف بعض اللغات الشرقية . ويبرون في تعليقاته على *de Harold's Pilgrimage*
يتحدث عن «المستر ثورتون وإلماعته الكثيرة الدالة على استشراف عميق» . وفي خلال الج
التعليمية بالهند التي حسمها تقرير ماكولي الشهير في سنة ١٨٣٤ كان المستشرقون أولئك ا
نادوا بالتعليم والأدب الهنديين ، بنما سمي معارضوهم الذين رغبوا في أن تكون الإنجليزية ا
التعليم بالهند (المتجلبزون Anglicists) ومما يؤسف له أن ما أنتجه هذا النزاع المشهور من
الحزازات قد أصقت باسم المستشرق قدرا من القبح والشين ، ولأشك أن تشارلز دوتي
يتذكر هذا حين كتب قائلا «إن الشمس جعلتني عرييا ولكنها ما شوهتني قط بالاستشراف
أما قاموس اكسفورد الجديد فيحدد المستشرق Orientalist بأنه «من يتبحر في لغات الشرق
وآدابه» ، وذلك هو التفسير الذي سنعمده في حديثنا التالي ، وإن كان يفرض علينا أن
لآخرين أن يكتبوا عن ذلك الجيم الفغير من ذوى الشهرة والصيت الذين عرفوا العلم
معرفة جيدة والذين استلهموه أدبا بديعا ولكن خرجوا عن حد التعريف السابق فلا يست
تسميتهم مستشرقين .

وسنترحل من الغرب إلى الشرق فتحدث أولا عن العرب والترك والفرس تارك
العبرية لكونها في صورتها الكلاسيكية لغة ميتة وفي إحيائها الحديث شكلا آخر من الأسلوب الغر
في حقيقة الأمر ، كما ترك الدراسات المصرية والآشورية إذ يجب أن ندع هذه الموضوع
لعالم الآثار والحفريات . ثم نبر إلى الهند ، تلك البلاد الفسيحة الشاسعة المتنوعة . وبعد ذا
نصل إلى جزائر الهند الشرقية والشرق الأقصى .

وهكذا يدخل في نطاق المستشرق اللغات والآداب المتنامية لأكثر من نصف الجند
البشرى ولديانات عظيمة عده . وهذا الكتاب يقصد به تناول الشخصيات والأعمال ولأول
الرجال والنساء الانجليز الذين جعلوا هذه اللغات والآداب دراستهم المتخصصة أو هوية
الحية ، ولكن لعلنا لا نتجاوز حدود موضوعنا إذا اعتبرنا في إيجاز قيمة هذا الكم الأدبي الو
الذي استحوذ على مثل ذلك العدد الكبير من العقول الجبارة . وقد كتب ماكولي مرة قائ
إنه لم يحدث له قط أن قابل دارسا للغات الشرقية استطاع أن يقنعه بأن الأدب الشرق بأجم
يعدل رقفا واحداً من أمهات الكتب في الأدب الأوربي ، فلو كان هذا الحكم صحيحا لوجه
علينا أن نتحسر على الوقت والمجهود الذين أضاعها أبناء وطننا الذين برغم ذهنيهم الثاقب ضلوا سو
السييل وفخروا باستشرافهم . ولكن الحق أن ذلك الحكم ليس إلا إساءة عرض للحقائق
لجئت عن جيل مطبق ، وعن سوء ية إلى حد ما .

إن آداب الشرق تستمد إلهاما من ديانات الشرق ، والقوالب التي اتخذتها هذه الآداب



الامبراطور شاه جهان يزور معلما
صورة هندية دقيقة الصنع . المدرسة المغولية . القرن السابع عشر .



الحاج
صورة ملونة على الحجر من صنع رنشارد بيرتون.

قد حددتها العبقريّة الغريزيّة والبيئة الطليعية للشعوب الشرقيّة. فالإسلام، وهو وليد الفيافي المحرقة لجزيرة العرب وجدياتها الشاسعة ومالكها المحدث ومشتقها وعسرهما، يقرر أن الله مطلق القدرة ولكنه مع ذلك شامل الرحمة، وأن الإنسان مقتمد على إرادة الله اعتقاداً مطلقاً ولكن له أن يرجو السعادة الباقية، فهذه العقائد الأولى خلّفت طابعها على كل آداب العالم الإسلامي. ولكن المميزات الذاتية لكل أمة إسلامية أدخلت تعديلاتها على الأساس المشترك. فلقد قدر للعرب أن يسكنوا كثيراً من البلاد الخصبة حيث عاشوا جنباً إلى جنب مع الشعوب المهزومة التي كانت وارثة اليونان والروم ومعتقة للنصرانية. وهكذا بينما لم يتخلص الأدب العربي أبداً من جذب معين يرجع إلى منشئه الصحراوي، إذ به مع ذلك يتسع أفقه في نواح كثيرة لا تتجاسر مجال مع أصوله المحدودة. وقبل عجيء محمد كان للعرب تقليد شعري إن لم يكن واسعاً فهو يمثل ذوقاً أدبياً عظيم النضوج وإحساساً رائعاً بالطبيعة. وقد كان الشعر دائماً ولا زال منقهم الفنية الكبرى، سواء كان موضوعه الغزل أو مناقب الممدوح أو عظمة الله أو أحداث الوقت. وهكذا يتذكر المرء ما يقصته ت. أ. لورنس من إنشاء صحبة البدو للقائد المرحلة منسجمة مع حركات نوقم. وفخر العرب بأجدادهم، وهو من خصائص رجل القبيلة البدوي، قد نمت فيهم ملكة تاريخية اقترنت باهتمامهم بالتفاصيل نتيجة لحياتهم الصحراوية وأثمرت أدباً واسعاً من كتب التاريخ والسير. والأحداث التي يورخها هذا الأدب ذات طابع دراميّ شديد. فليس والحق يقال قصة تعدل في بهائتها وبذخها المقترن بعنصر المأساة قصة نشوء الخلافة واضمحلالها وانهارها. واللغة العربية عبقريّة التركيب، صلبة البناء ورقية الإحساس في وقت معاً، وذات مفردات تكاد لا تحصى أمدتها كل قبيلة بتمتازاتها، وهي من وجهة النظر اللاهوتية أداة كاملة—فإن القرآن يعتبر كلام الله بلفظه—فهي بذلك كله صارت موضوعاً جديراً بالدراسة. وليس من أدب غربي يستطيع مجال أن يعدل العربية في ميادين النحو وعلوم البلاغة وتدوين المعاجم وكل فروع الدراسة اللغوية. فإذا أضيف إلى كل هذا ذلك الأدب الغزير من علم اللاهوت والفقه والفلسفة والرياضيات والعلوم اتضح أن تراث العرب شيء يزيد على قصص ألف ليلة وليلة التي تمثل إلى معظم أبناء الغرب مجموع الأدب العربي.

أما الفرس فكانت لهم حضارة عريقة حين زحف العرب شرقاً، ثم نتج لهم أدب فاخر خلقتهم مواهبهم الفنية الرفيعة، تلك المواهب التي تمثلت في ما كان لهم قبل الإسلام من آثار ذات جلال وآية بديعة ومصنوعات معدنية فائقة، والتي بعد اعتناقهم الإسلام بهرت العالم البشري بما ابدعته من صنائع بارعة نمتقتها العين واليد، وبما أبتجته من أدب بتمتاز إذ اتخذت أداة لها تلك اللغة اللينة ذات الموسيقى الجميلة. وفارس هي أيضاً مهبط التصوف. فإن فارس هي التي ولدت زردشت وماني. وإن العنصر التصوفيّ الغريزيّ في إسلام الفرس قد فاق كل الحدود حتى لم يعد باستطاعة أي أدب آخر أن يعدل أدهم في غناه بالصور الصوفية وعمق هذه الصور أيضاً. ولما كان الفرس مقارنين لليونان جنساً، شاركهم في ذلك التراث الآريّ المشترك ألا وهو فن الملحمة. ففي شعر الفردوسيّ تسيطر الحركة والحادثة على كل عنصر آخر، أما

الشعراء التالون فقد تأثروا بالفكر الصوفي من وجه وبالصنعة اللونية لصانع الصور الدقيقة المصغرة، من وجه آخر. واللقتان التركية والأردية هما أيضا غنيتان بهذين النوعين من الشعر. هذا وكل لغات الإسلام تتضمن آدابا تاريخية هامة.

ولا يسمح لنا الفراغ المحدود بتحليل مائل للآداب المستمدة من البوذية والهندوسية والكشفيسوسية والثاوية وغيرها من ديانات الشرق. ولكن من حسن الحظ أن مزايا هذه الآداب قد دلت عليها دراسات العلماء في المائة عام المنصرمة بدرجة كافية لأن ثبتت أحقية تلك الآداب بالاهتمام. فالخيال العبرى الغنى الذى أنتج العجايب آثارا بأساطيرها عن الآلهة والرجال التى تكون موضوعات الروايات التمثيلية المقدسة فى الهند، والحاسة الدينية التى ألهمت أناشيد الرج-فيدا، والقصص المثلية القديمة عن الحيوان التى هى وليدة الأدغال الهندية والتى وصلت أوروبا فى عهد ازوب ومن يومها انتشرت فى كل أقطار المعمورة، وتأملات الرهبان فى المعازل الجبلية بالثبت وما تنسم به من التعبيرات الميتافيزيقية الدقيقة والخواطر التصوفية السامية، وحكمة كنفشيوس العميقة العملية الفكية، والشعر الصينى بما فيه من دقيق الظلال والأضواء، وما لجزر الهند الشرقية من أساطير قبلية وأمثال وحكم - أينا يستطيع أن يزعم أن هذا كله ليس موضوعا صالحا لدراسة العالم ومثقة الجمهور؟

وأخيرا إذا أردنا إكمال هذا العرض الموجز للميدان الذى يواحننا فلنعتبر الدوافع والمناسبات التى تشرح ما للعلماء البريطانيين فى كل هذه الفروع من العلم الشرقى من قدر جليل وأياد بارعة. لا شك أننا إذا تأملنا المسألة بهدوء وزاخرة استطعنا أن نجد مشابهة بين تلك الروح المشبعة بالمغامرة وحس الاستطلاع إذ تدفع الرجال من هذه السواحل إلى أقاصى أطراف الأرض، وبين عنصر مقابل فى الذهن البريطانى يجد لذة ورضى فى اقتحام ما للمعركة من دروب مبهمة محبولة وسبل عويصة غامضة. ولعل فى تسلسلنا من أسلاف محتاطين شيئا يدفعنا إلى الشرق إذ قد حالت بيننا وبين أن نهيم غربا تلك البحار المحيطة بجزيرتنا، يدفعنا ذلك الشيء إلى أن نذهب إلى الشرق مرة ثانية بأذهاننا إن لم يكن بأجسامنا وأن نحطم القيود التى كادت تنوء بنا. فالأستاذ الجامعى المحبوس بين جدران مكتبته الزاخرة وإن لم يكن قد رحل إلى الشرق أبعد من فينا فهو برغم ذلك يستطيع بغير زنه الموروثة وبديته القومية أن يصل إلى تفسير بالغ الصحة لعقول سكان سمرقند أو بلاد التار النائية ولروحهم. ولكن مقابل كل واحد من أمثال هذا العالم يوجد عشرات ممن نهجوا نفس النهج لأنهم قد عاشوا فى تلك الأراضى المترامية بين أولئك الأقوام الأجنيين. وإلى جانب الرغبة الخاصة فى الاستكشاف وجدنا السعى وراء التجارة ثم ما تلتها من مسئولية الحكم قد جلبا كثيرا من العقول النافذة الحادة إلى دراسة الثقافات الشرقية الحية. وغير قليل من أعظم مستشرقينا كانوا رجالا وجدوا فى الاستشراق تسرية للذهن وتحييداً للنشاط بعد ما يتطلبه تدبير الشؤون والأعمال من جهد شديد وإنهاك ذهنى. وهناك أيضا طائفة من ذوى الجسارة والإقدام الذين ذهبوا إلى الشرق ليبشروا فيه بدينهم وآل بهم المآل إلى أن اعتنقوا هم ديانة الشرق اعتناقا جزئيا.



بدل كنت رستم كرام و زجان | بآمد بمن رنده ام جاودان

«رستم والمارد الأبيض». نسخة للتصوير في مخطوطة فارسية للشاه نامه نقر، قام بترجمتها و. أوصلی

أولئك هم العلماء المبشرون الذين نحن مدينون إلى جهودهم المدققة بدين عظيم من الشكران. وما يميز كل هؤلاء الرجال أنهم قد تنكبوا السبل المطروقة والمسالك المعروفة للعلم واقتحموا مناطق أكثرها لم يسبقهم إليها سابق. هم قد ذاقوا لذة الاستكشاف الحصب، ولكنهم أيضا قاسوا وحدة الرائد وانفراده. وهم إلى حد عظيم قد اضطروا إلى أن يخترعوا لأنفسهم وسائل الدراسة وفن التناول وأن يقيموا لأنفسهم مقاييس الموازنة، فكان الاعتماد على النفس وقوة النقد الذاق اوثق ناصح لهم بل كثيرا ما كان ناصحهم الوحيد. حقا إن كل دارس وكل عالم يلزمه أن يصير نفسه أفسى ناقد لنفسه إذا أراد أن يحوز قدرا من العظمة. ولكن في أغلب

الموضوعات الأخرى يستطيع المبتدئ بل التعلم المكتمل أن يتمتع بشمات التقليد الموضوع والمنافسة الشديدة، أما المستشرق فمحروم من المساعدة الخارجية من اللحظة التي يبدأ فيها بحثه. وهكذا نتج أن تاريخ الاستشراق مفعم بأساء المشعوذين الدجالين كما هو مليء بأساء العلماء الأفاضل. وإن من الممكن كتابة بحث شائق عن أعمال الفريق الأول فقد كان كثير منهم من المحتالين الظرفاء. ولكن كتابنا هذا لن يعني إلا بأعمال الفريق الآخر.



مجموعة لحجوم برشاوس. تصوير انجليزى يرجع إلى حوالى سنة ١٤٩٠ مبنى على أمل عرب

بلاد العرب وفارس

في القسم الأول من القرن السابع التهب العرب حماسة بدين جديد وبهم أمل الفتح في سبيل الله فانقذوا من حيزيرتهم الماحلة الجدياء وانتشروا من أسبانيا إلى الهند وما وراءها. وقد حملوا معهم لغة قدر لها أن تصبح أداة أدب عظيم، لغة كان من فخارها أنها صارت الواسطة التي نقل بها أرسطو وجالينوس اللذين كانا قد آلا إلى النسيان، تقلا بها على قرون عديدة حتى استكشفا من جديد في لغتها الأصلية.

أول الجليزى من المؤكد أنه كان عالماً بالعربية هو أديلارد (Adelard) المولود في مدينة باث وكان معلم هنرى الثانى، وقد قام برحلات واسعة في أسبانيا والشام وترجم عددا من النصوص العربية إلى اللغة اللاتينية. وكان من بين الذين اقلعوا من هذه السواحل من

صُورَةُ بَرشَاوَسْ عَلَيَّ مَاتَرِي فِي الْيَتْمَاءِ

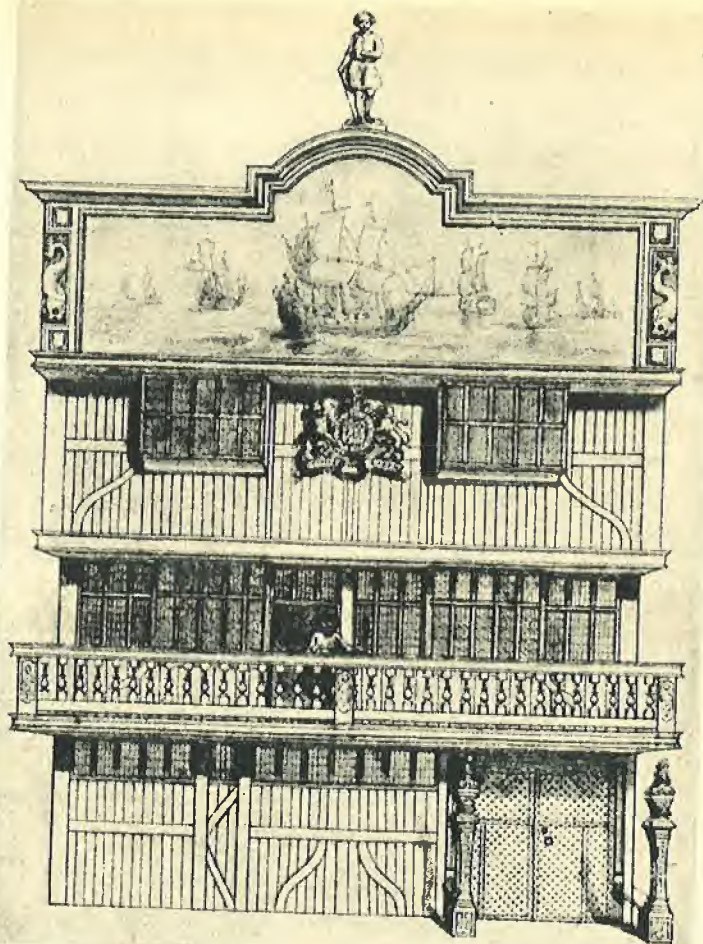


مجموعة لمجوم برشاوس . تصوير مأخوذ من مخطوطة عربية (مخطوطة باريسية رقم ٥٠٣٦)

القرنين الثاني عشر والثالث عشر في طلب المعرفة المغربية ورجعوا لينبروا أذهان مواطنيهم،
كلان من بينهم دانيال من مورلي وميكائيل سكوت العظيم المنجم والسمياني الذي أحرزت
ترجمته لأرسطو من العربية شهرة مستحقة وكان لها قيمة كبيرة في الحركة الأولى للنهضة
الأوربية . ومن الشائق أن أول كتاب طبع في الجبلترا وهو (حكم الفلاسفة وأقوالهم) كان

ترجمة لمصنف عربي رائج. ولكن من الغريب أن الحارثيين الصليبيين يبدو وكأنهم أفرصهم لتعلم لغة أعدائهم البسلام. وإن كانوا قد تعلموا منهم قدرًا كبيرًا من البسلامة والقرو إلا أن إحياء المعرفة اليونانية صنع الأمور بصيغة جديدة. فإن اللغة العربية حتى ذلك الحين تدرس كفتح للفلسفة القديمة والعلم القديم: أما منذ حينئذ فصارت تدرس مزاياها الذاتية الخالصة. ولكن هذه المزايا ظلت قرونا عدة محصورة في ما اسده العرب الطب والرياضيات والفلك وإن كانت هذه أيادي باذخة. وأما الأدب العربي والثقافة العرب اللذين نعدهما الآن بلا تشكك أروع مفخرة للحضارة العربية فكان الغرب أهلها تمام الإهما إن القرن الخامس عشر يتميز بمحادثتين ذوات أهمية معدومة النظير لتأثيرهما في العلا بين الشرق والغرب. ففي سنة ١٤٥٣ آلت القسطنطينية إلى يد الأتراك المسلمين مآلا لا ر فيه. وارتفع الهلال متألقا على أوروبا الشرقية. وبعد ذلك بنحو أربعين عاما طاف فاسكو جاما برأس الرجاء الصالح وجلب التجار والمبشرين البرتغاليين إلى الهند. وتلامم الأبحر والهلنديون والفرنسيون. ولكي يؤمن البرتغاليون مواسلاتهم مع الهند وجدوا من الن عمل محطات إقامة على سواحل جزيرة العرب والخليج الفارسي. وقد حذا حذوهم منافس الذين قدر لهم بعد أن يحلوا محلهم في ممتلكاتهم. كل هذا لم يستلزم الجراءة البحرية والحر فحسب—فهذا أمر لا يحتاج إلى تدليل—بل استلزم أيضا المهارة السياسية والخبرة الدبلوماسية وليس من الغريب على الممثلين الدبلوماسيين بعد إقامة طويلة أن يصيروا على معرف باللغة والثقافة للبلاد التي يمثلون فيها مصالح وطنهم. ومن الصحيح أن أول المجلزي سعى الحصول على امتيازات تجارية في البلاط الفارسي حمل معه خطابات بالعربية واللاتينية والإيطالية وليس من المستغرب أن محاولته باءت بالفشل. ولكن الأمور لم يستقر بها القرار على هذا النحو وسرعان ما انفتحت التجارة والدبلوماسية البريطانيتان بهزيمة الأرمادا الأسباني. وكان من أواخر ما حدث في حكم اليزابث المجيد إصدار مرسوم بشركة الهند الشرقية الحديثة التأسيس. وقد عملت محاولات لإيجاد علاقات تجارية مع فارس عن طريق روسيا منذ سنة ١٥٦٠. ولكن ما افتتحت البحار أمام التجار البريطانيين حتى تحلت أفضلية طريق الرأس لكونه أكثر اقتصادا. وهنا بدأ الصراع الذي كانت نتيجته النهائية تقرير السيادة البريطانية البحرية في المياه الشرقية فيما وراء الهند إلى سواحل الصين.

كل هذه الإشارة إلى التاريخ ضرورية لشرح الروح الجديدة التي توجب شعلة الاستشراق البريطاني منذ بداية القرن السابع عشر. فطلب التجارة الراجحة—وهو أقوى المشجعات البشرية على النشاط والعمل—كان له أثره الطبيعي على ما للأمة من ميول ومحجودات فكرية. فبينا كان التاجر يسعى في الحصول النفع المادي من علاقاته بالشعوب الشرقية، إذ بالمبشر الإنجيلي يسبقه تارة أو يتبعه حيثما تارة أخرى. وقد امتلأ حساسة شريفة أن يحقق أمر معلمه المسيح بالذهاب إلى كل العالم والتبشير بالإنجيل إلى كل مخلوق. وقد وجد أن ما يساعده على تحقيق ما يرى إليه من الخلاص الروحي أن يتعلم ما للجماعة التي سيلقاها من لغة وطرق تفكير.



الدار القديمة لشركة الهند الشرقية بلندن .
رسم محفور . سنة ١٧١١ . سمح بنشرها وزير الهند .

وقد ازداد هذا التعلم لزوما حين وجد الداعي المسيحي نفسه وجها لوجه أمام دين تبشيري آخر هو الإسلام ، وأمام دعاة قاموا بدعوتهم مستندين إلى ثقافة ناضجة وفلسفة لاهوتية دقيقة . وهكذا يكون هناك دلالة رمزية في أنه بينما كان مؤسس أول كرسي للعربية في كمبردج (سنة ١٦٣٢) رئيس رجلا علمانيا هو السير توماس آدمز ، كان مؤسس الكرسي المنافس له باكسفورد (١٦٣٦) رئيس الأساقفة لود نفسه . وأول مستعرب جدير بالذكر في هذا العصر الجديد هو وليم بدويل (William Bedwell) ، الذي وصف العربية بأنها « اللغة الوحيدة للدين واللغة الرئيسية للسياسة والعمل من الجزائر السعيدة إلى مجار الصين . » وهو الذي أصدر أول ترجمةجليزية للقرآن . وكان الأخوان

جون وتوماس جريغز من اكسفورد يعرفان العربية والفارسية معرفة حسنة. وكان جون رياضيا مشهورا وأستاذًا للفلك. وهو قد نشر عدة كتب هامة عن فضل المسلمين على الفلك والرياضيات. ولكن أعظم مستعرب في القرن السابع عشر هو إدوارد بوكوك (Edward Pococke)، تلميذ وليام بدويل. وقد قام برحلات واسعة في الشرق الأدنى وحصل معرفة واسعة بالعربية الفصحى والدارجة معًا. وفي أثناء السنوات الخمس التي عاشها في حلب جمع مجموعة فنية من المخطوطات العربية تكون الآن قسما من أثنى محتويات المكتبة البودلية.

ثم إن إحياء الدراسات العربية في إنجلترا صحبه بدء الدراسة الفارسية والتركية. وفي ذلك العهد كانت كل أصقاع الشرق الأدنى والأوسط تكون وحدة دينية وثقافية وأيضًا سياسية إلى حد عظيم، وكانت اللغات الرئيسية الثلاث للإسلام متوغلة فيها بدرجة متساوية، فأما الفارسية فكانت لغة البلاط لدى مغول الهند وأداة المجتمع المذهب الراقى في تركيا، وأما التركية فكانت واسعة الانتشار كلغة المحاطبة في كل أنحاء الامبراطورية العثمانية، وأما العربية فحملها الدعاة الدينيون والتجار من مراكش إلى زنجبار ومن الشام إلى جاوة وما يلها. فن الطبيعي إذن أن تتناول اللغات الثلاث مع إحداها الأخرى في الصفحات التالية، فإن أكثر الالجابيز الذين درسوا إحداها قد تملكوا ثلاثها.

كان جورج سيل (George Sale) محاميا قام بدراسة العربية ووضع أشهر ترجمة للقرآن قدم لها بتمهيد جيد، وقد نال هذا الكتاب شهرة في أوروبا واقتبس منه فولثير واستعمله جميع من تلا من المترجمين. ولكن أهم حادثة وقعت في القرن الثامن عشر من وجهة نظر الاستشراق هي تأسيس الجمعية الآسيوية للبنغال في سنة ١٧٨٤. وفي الفصل التالي سنعود إلى الحديث عنها وعن مؤسسها السير وليام جوز، وإنما نذكر هنا عنه أنه كان عالما بارعا بالعربية والفارسية فضلاً عن مناقبه العديدة الأخرى. وهو قد ألف كتاباً للنحو الفارسي حظى بالشهرة وطبع طبعات كثيرة، كما أنه طبع وترجم نصوصاً فارسية عديدة ووضع ترجمة بديعة للمعلقات السبع العظيمة التي أنتجتها الجاهلية العربية. وشارلز وكنتز (Charles Wilkins)، وهو معاصر لجوز، كان يعرف العربية والفارسية وعدة لغات هندية، وستحدث عنه بعد. وفي ذلك العصر أسست شركة الهند الشرقية في مرهفورد الكلية التي تعرف الآن باسم هيليري (Haileybury). وذلك إذ لم يخف على الشركة أن موظفيها الذين ترسلهم يحسن أن يكونوا على إلمام ولو جزئي باللغات والثقافات للشعوب الذين سيعملون بين ربوعهم. وكانت العربية والفارسية من بين الموضوعات المقررة التي أسست لها كراسي أستاذية. وقد كان هذا حافزاً قوياً شجع الدراسات الشرقية في هذه البلاد. فالالجابيز في الهند تعلم بعضهم كيف يناقشون ببحر في الفارسية ويستشهدون بشعر حافظ كما استشهدوا بشعر هوراس، وفي خلال الجيلين التاليين قادت بريطانيا العالم في الدراسات الإسلامية كما قادت في الدراسات الهندية.

والدراسات الفارسية مدينة أعظم دين إلى فرانسيس جلادوين (Francis Gladwin)، وكان ضابطاً بالجيش البنغالي وصنعة لوارين هيستنجز (Warren Hastings) الذي كان محمسه





صورة فتى يقرأ
صورة فارسية دقيقة الصنع من عمل رضا عباسي طبقاً لمحمدي الهروي .
أوائل القرن السابع عشر .

وال
المقبر
هذه
بشعر .
الدراسات
والدر
وكان ضابطاً بالجيش



وارين هيستنجز ١٧٣٢-١٨١٨ . صورة زيتية
من صنع جورج رومنى . سمح باشاها وزير الهند .

للعلم الشرقى لا يجد. وكان وارين هيستجنز هو الذى اقترح على شركة الهند الشرقية نشر تر
شارلز ولكنز المشهورة لهاجند-جيتا السنسكريتية. ثم إن هيستجنز وكان يستطيع الاقباس
شعراء الفرس جمع مجموعة مختارة من المخطوطات الشرقية باعها بعد ذلك للشركة بشمن معت
جدا. وبهذا نحوه قام الحاكم العام العظيم بمعاونة جهود تلك الزمرة النبيلة من الرواد البنغاليين
وكان من النواحي الهامة للدراسات الشرقية فى ذاك الحين ما قدمته من العون فى كنة
التاريخ الهندى. فحين كتب روبرت أورم (Robert Orme) كتابه المشهور (تاريخ الأمم
المسكينة للأمة الإنجليزية فى هندوستان) (لندن ١٧٦٣-١٧٧٨) اضطر إلى أن يستمد أغل
مادته من المصادر الأوربية، إذ لم يعرف الفارسية ولم يكن قد ترجم بعد إلا القليل من التوار
الهامة المطولة للأمر الهندية التى كتبت باللغة الفارسية. ولكن منذ سنة ١٧٧٠ فما تلاها بدأت ه
الحال تتحسن، وخاصة إذ أن الوسائل المادية لنشر تلك التواريخ أمدتها البيبليوتكا الهند
لجمعية بنغال الآسيوية، حتى إذا حان الحين للسير ه. م. إليوت وج. داوسون بإصدار مؤلفهم
العظيم (تاريخ الهند كما يرويه مؤرخوها) (ثمانية مجلدات ١٨٦٦-١٨٧٧) كان التقدم الذى
منذ زمن أورم جليا أتم الجلاء. وأما عن تاريخ فارس فقد بدأ العمل فيه فى هذه البلاد بدا
حسنة على يد السير جون مالكوالم (John Malcolm) الذى قضى سنوات كثيرة فى الشرق فأح
الأمة الفارسية وأعجب بها. وكتاباته مليئة بالخطرات الشخصية التى تدل على اتساع الفكر وحرار
العاطفة مما يميز المحب الصادق للإنسانية. ثم إن مالكوالم كان هو الذى ملأ محب الدراسات الفارسية
قلب هنرى رولنسون (Henry Rawlinson) والد الجنرال رولنسون الذى حطم خط هندنرج
فإنه حين ارتحل رولنسون للمرة الأولى إلى الهند تصادف أن كان المؤرخ الكبير رفيقه على
ظهر السفينة، وكان من نتيجة الصداقة التى نشأت بينهما أن أقبل رولنسون على تلك الدراسات
فى التاريخ الأثرى لفارس القديمة، تلك الدراسات التى أسست علما جديدا والتى لا يشملها مدى
كتابنا هذا. وبينما كانت الدراسات الفارسية على هذا النحو تؤسس على أسس راسخة ويقض لها
الاتشار من بريطانيا إلى القارة الأوربية حيث شغلت اهتمام أمثال فولتير وجوته، تقدمت
الدراسات العربية فى ذات الوقت حتى اكتظ القرن التاسع عشر بشخصيات مشهورة ممن
كان لجهودهم وكتاباتهم فضل كبير فى خلق الصداقة بين الشعوب البريطانية والعربية، تلك
الصداقة التى صارت الآن أمرا تقليديا ثابتا. هذا ولم تهمل الدراسات التركية، ففى أوائل
القرن بدأ عمل السير جيمس ردهاوس (James Redhouse) حين تولى منصبا فى الحكومة
العثمانية فى سنة ١٨٢٦، وفى سنة ١٩٠١ توفى أ. ج. و. جب فى ريعان عمره، وهو أعظم
علم بالتركية ظهر خارج تركيا، وكتابه (تاريخ الشعر العثمانى) يمثل مقدرة خارقة فذة بالقياس
إلى قصر حياته، أضف إلى ذلك ما يزدان به الكتاب من ترجمات شعرية عديدة بالغة الطلاوة
والرونق. وقد استحق ردهاوس شكران الأجيال التالية بتصنيفه معجما تركيا الإنجليزية لم يشق له
غبار بعد، وقد خلدت أم أ. ج. و. جب ذكرى ولدها بإنشائها وفقا لنشر الكتب عن
الدراسات العربية والفارسية والتركية، وسلسلة جب التذكارية التى قد أتمت الآن عقدها الرابع

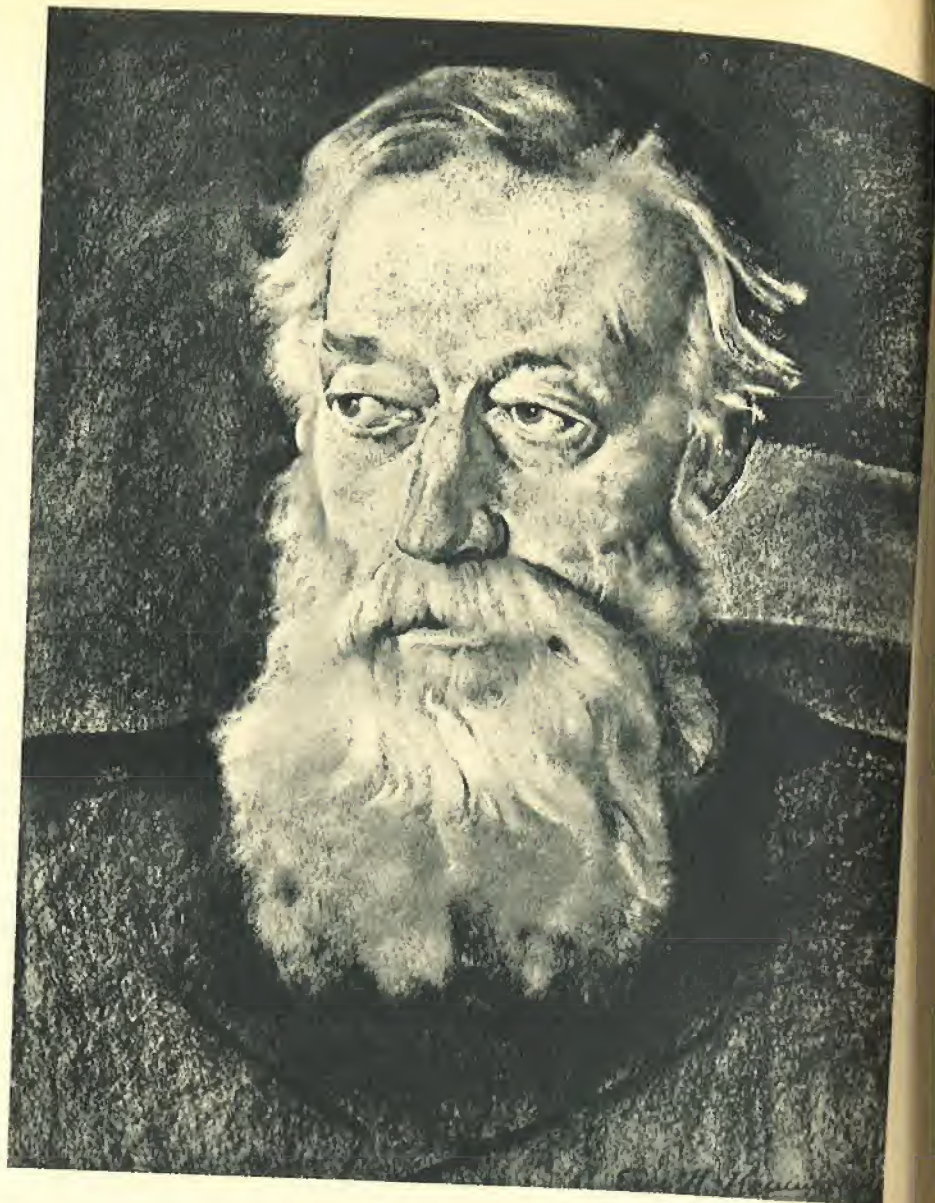


سلطانية. بلاد الفرس. رسم محفور من صنع پ. شنك سنة ١٧٠٢ .
سح بشرها قاعة باركر للصور بلندن .

قد وطدت دعائهما كيزان للدراسة الدقيقة الصحيحة وفرصة ثمينة لطبع النصوص النادرة .
في سنة ١٨٠١ ولد الرجل الذي حظى اسمه بالشهرة والذيع في عالم الدراسة
العربية ، ذلك الرجل الذي ألف ذلك القاموس العظيم الذي يعد أبداع تحفة في ميدان تدوين
المعاجم العربية ، والذي مع ذلك أصدر يراعه أيضا وصفا رائع الطلاوة بارع الصدق لمصر في
أوائل القرن التاسع عشر . ذلك هو ا. و. لين (E. W. Lane) . في سنة ١٨٢٥ أُلحق لين إلى
الاسكندرية . وقام برحلة بحرية مجازفة دامت شهرين تعرضت فيها حياته للخطر المهلك بسبب
تمرد البحارة على ظهر السفينة وبسبب زوبعة هائلة أرغمت العالم الشاب على أن يترقى إلى مهنة
مدير الدقة إذ مرض القبطان ولم يكن على ظهر السفينة أحد سواه يستطيع الملاحة . وقد
كتب قائلا «عندما رسخت قدمي على البر للمرة الأولى فاضت عاطفتي كعروس شرق قارب أن
يكشف القناع عن وجه عروسه التي لم يبصرها بعد» . وسرعان ما استولت على له القاهرة
الساحرة التي لما تؤثر فيها مؤثرات الغرب ، وبعد رحلة ثانية في سنة ١٨٣٣ كتب مؤلفه
(طباع المصريين وعاداتهم في العصر الحاضر) وهو مؤلف سرعان ما رسخت دعائهما ككتاب أحبه
الجمهور وولع به ، فين القاهرة في سنة ١٨٣٠ وبغداد في العصر الذهبي لهرون الرشيد لم

يكن هناك بون واسع . ثم إن كتابه التالى وهو ترجمة صحيحة وممتعة مما ألّف ليلة لا يزال يعد من أمهات كتب الأدب وقد سحر أبواب الآلاف من لم يكن فى استطاعتهم الأصل العربى . ومما يكاد يفوق حد التصديق ما كان لهذه الترجمة من تأثير على التمثيل الهولّى (pantomime) بالجلترا مثلا . ولكن أعظم ما ألّفه لين فى حياته هو كتاب ألخنا القاموس الرائع الذى توفى قبل أن يتمه . وفى سبيل جمع مواد المبعثرة فى كثير من الم العربية التى لم تكن قد نضرت بعد ، رحل لين إلى مصر رحلة ثالثة فى سنة ١٨٤٢ وا على الشغل المثابر اثنى عشرة ساعة إلى أربع عشرة ساعة كل يوم لمدة ثلاث سنوات . و التى جمعها بهذا العمل الهائل استغرقت سنه الخمس والعشرين الباقية فى تهذيبها وترتيبها . ومعجم لين هو أعظم فضل على الدراسة العربية أسداء عالم أوربى بمفرده ، وهو جدير بأن من أطول الأيادى التى أسبغها أى عالم لغوى على أية لغة .

هناك رجل ذو ميول وشخصية شديدة الاختلاف ، وهو معاصر متأخر للين ، طابعه على الدراسات العربية وعلى سواها من الدراسات ، ألا وهو المستكشف والمؤلف لا يكل ، السير ريتشارد بيرتون (Richard Burton) . بعد خدمته فى الجيش البريطانى بالهند إلى القاهرة فى سنة ١٨٥٣ ومن ثم توجه على رحلة فذة إلى مكة والمدينة ، وبذلك أحد الأفراد القلائل من غير المسلمين الذين زاروا مدينتى الإسلام المقدستين . وبيرتون مثل ت. أ. لورنس من مقاطعة كورنول . وقد بارى لين بترجمته لألف ليلة وليلة ، وكل منها كان اهتمام لين منصباً جلّه على ما تلقىه هذه الأقاصيص من ضوء على الحياة الاجتماعية الإسلام فى القرون الوسطى ، كان غرض بيرتون أوسع نطاقاً وتعليقاته مستودعا غنيا حافلا بغير المعارف من كل نوع . واسم بيرتون يستدعى توا ذكرى المجلىزى آخر كبير عرف العرب خير معرفة وأحبهم أحزل حب ، ذلك هو تشارلز دوقى ، مؤلف ذلك الكتاب الذى يتحد التقليد (بلاد العرب الصحراوية Arabia Deserta) وهو كادوارد فترجيرالد من مقاطعة سفولك تبنى دوقى بالزى السورى راحيا أن يحسب فارسيا ولحق ركب الحجاج فى سنة ١٨٧٦ وعنه عودته كتب ذلك الكتاب الذى كان لنشره بعد رفض متكرر دوى أثار خلافا شديدا والآراء ، حتى أنه لم يدرك ما لأسلوبه القوى المتكرر من ميزة حق الإدراك إلا فى الجليل الحاضر . فأينا يستطيع الآن أن يقرأ تلك الكلمات المستثيرة التى يصف بها دوقى بدأ رحلات التاريخية دون أن يتذكر تلك الملاحظة الأخرى من البطولة الإنسانية والمجازقة الرائعة التى قصها بلغة تشبه لغة دوقى خلودا وإثارة للعاطفة رجل صار اسمه إلى الأبد قرينا للصحراء لا ينفصل ونهى لورنس العرب ؟ يقول دوقى : « ببق الفجر ولما زرع . حتى إذا طلع النهار هدمت الحيام واقتيدت الجبال محبزة لقطاعاتها وأوقفت مجنب حموها . انتظرونا لنسمع قذقة المدفع التى ستفتج حجة العام . وكانت الساعة قد ناهزت العاشرة حين سمعنا إطلاق المدفع الموعود ، وإذا ذاك بلا هرج رفعت الحمول وشدت على المطايا ، ووضعت على الجبال الباركة أحمالها ، وركب فى صمت ألوف الركاب وكلهم ممن ولد فى أفطار القافلة . » هذا النثر المجذول الفائق البدوى ،



تشارلز دوتى ١٨٤٣-١٩٢٦ . صورة بالألوان
الجامعة من عمل اريك كينجتن سنة ١٩٢١ .

الذى تنجلي في أسلوبه آثار لا تخصى لذهن عربي التفكير، استقبل بعد تلكؤ أحر استقبال كأحد روائع الأدب الإنجليزي، ولا شك في أنه ترك طابعه على روح المجازف الاليزابثي في القرن العشرين، الذى حطمت حياته في مصرعه الغريب في حادثة اصطدام عارضة. بيرتون. دوتى. لورنس. أهلك أمة أخرى أُلحيت في مثل هذا المدى القصير من الأعوام ثلاثة رجال من مثل المقدار؟ الدير والصحراء اجتمعوا في أ. ه. بالمر (E. H. Palmer) الذى شغف في طفولته المتشمة بجميع اللغات كما يشغف غيره من الأولاد بجميع طوابع البريد. ولد في كبردج والتقطته كلية سنت جون وترقى حتى شغل كرسى الأستاذية العربية لوكيل توزيع الصدقات، وهو كرسى أسس من قديم وألنى لسوء الحظ سنة ١٩٣٤. كان يجيد معرفة كل من العربية والفارسية والأردوية ويكتب جميعا بإجادة بل كان ينظم الشعر فيها. وقد قام برحلات واسعة في الشرق الأدنى ثم انتهى أمره بتضحية حياته في خدمة وطنه ولما يزل في الثانية والأربعين من عمره إذ يساهو مبعوث في مهمة دقيقة هاجمه قطاع الطريق من البدو وقتلوه في الصحراء المصرية. أما الموظفون الرسميون فثارت شكوكهم القائمة حول هذا اللقيط العلامة الذى اختفى ومعه ذلك المال الوفير في الصحراء، ولكنهم فيما بعد كفروا عن ربهيم الأنيب بدفن بالمر في كنيسة القديس بولص مشوى العظام من البريطانيين. وهناك رجلان آخران تبعا التقليد البريطانى العريق في الاستشراق وكانا عالين خبيرين بالعربية كما كانا مشرفين شهيرين على الشؤون الإدارية، وهما السير ولیم میور (William Muir) والسير تشارلز ليال (Charles Lyall) وكان كلاهما ذا علاقات طويلة بالهند. فأما میور فقد ولد مؤرخا، وكتابه عن سيرة محمد وكتابه عن نشأة الخلافة وتدهورها وانهارها هما نتاج قراءة واسعة وبحث عميق ولا يزالان عديمي النظير في لغتنا الإنجليزية. ولا تزال ذكرى ليال طيبة عبة في وزارة الهند حيث استطاع بوسيلة ما أن يجد وقتا في فترات واجباته الشاقة يقضيه ساعات طوالا في قاعة المطالعة بالمكتبة التى يتصدرها التمثال النصفى لهزرى كولبروك من صنع تشاترى. وكان ليال من أوائل من يعتمد عليهم في مسائل الشعر العربى القديم في عصره. ثم إن شعراء الجاهلية العربية الذين عرف بهم السير ولیم جونز الجمهور البريطانى في عصره وجدوا مترجما آخر دقيق الإحساس على الموهبة فى اللادى آن بلنت (Anne Blunt) حفيدة اللورد بيرون. فهى قد عاونت زوجها ولقد سكاون بلنت نصير كل الشعوب المهضومة وصديق جمال الدين الأفغانى وعربى باشا، وقامت بأبداع ترجمة عملت فى أى لغة للمعلقات الخالدة. يندر بين القراء الانجليز فى الأحيال الثلاثة الماضية من لم يحدث له فى وقت ما أن وقع تحت سحر إدوارد فيتزجيرالد (Edward Fitzgerald) فى إحيائه الشعرى لعمر الخيام. فالرباعيات التى ظلت طبعها الأولى (كوارتتش ١٨٥٩) مدة من الزمن تباع النسخة منها بنس واحد، يتنافس الجامعون الآن فى اقتنائها حين تعرض بين الفينة والفينة فى قاعات المزاد العمومى، وهى قد زادت اللغة الانجليزية غنى بما أمدتها من عبارات كثيرة شاعت، وقد صارت تعد من أشهر الترجمات فى الأدب العالمى. ولكن قل من يتذكر أن فيتزجيرالد الذى تعلم الفارسية على أ. ب. كويل العالم السنسكرى بكمبردج قد ترجم أيضا ملحمة (سلامان وأبسال) لجامى



شاعر فارسی رفع مدحة شعرية إلى أمير مغولي . الصورة الانتاجية لكتاب «تاريخ فارس الادبي»
 مؤلفه ا.ج. براون . من مخطوطة بمكتبة وزارة الهند .

وأجزاء من (منطق الطير) للطار ، ذلك أن ميزة هذه الترجمات قد كسفتها الشهرة المدهشة التي حازتها ترجمته لعمر . وهم يقولون إن التقليد أصدق صور المديح ، فقد كان مقلدو فنزجرالد جماً غفيراً ، ويندر الآن أن توجد لغة أدبية لا تحتوي على ترجمة للرباعيات تحذو حذو تلك الترجمة الأولى في سنة ١٨٥٩ التي لقيت في أول أمرها فشلاً اقرب إلى النجاح باهراً . إلا أن فنزجرالد ندر أن غادر مقاطعة سفولك مهبط رأسه . وإن ذلك الذهن الذي استعاد إلى الحياة روح فارسي مات من قرون عديدة ، هو ذهن رجل الجليزي افتخر روسيتي وسويسيرين ومريدث بأن يسموه صديقهم ، الجليزي وجد أعظم لذته في مجاذب أطراف الأقاصيص مع صيادي السمك في سفولك . ولولا جوز وجلادوين وماكولم ، لما كان من المحتمل أن يتبع فنزجرالد شيئاً بعد ترجمته لكالدرون ، ولولا فنزجرالد لتعذر أن يعرف الأدب الإنجليزي قصة (حسن) لمؤلّفا فليكر (Flecker) . وهكذا تتصل وشيجة الفكر والإلهام خفية دقيقة من ذهن إلى ذهن . هذا ومن المؤكد أنه ليس في تاريخ الأدب من المفارقات ما يضاهي هذه المفارقة : أن عمر صانع الحليام الذي اشتهر في عصره كفلكي وهندسٍ ولم يقدر مواطنوه شعره القليل

إلا أنه التقدير، يتحصل بعد هذه السنين الطوال في قطر أجنبي بعيد بواسطة سيد سفولكي
عبرى على شهرة وصيت كشاعر فيلسوف، صيت سيبقي ما بقي اللسان الإنجليزي.

وبينا يعد الفرس عمر بين أصاغر شعرائهم إذ بهم يجمعون على أن حافظاً أعظم شاعر
غنائى. وقد حاول الكثيرون أن يفعلوا لحافظ ما فعل فترجرالد ليمر، ومن بينهم والتر ليف
(Walter Leaf) العالم الهوميرى والشاعر ليجالين (Le Gallienne). ولكن حافظاً عانده الحظ الذى
أسعد عمر، إلا أنه إن كان هناك ترجمةجليزية للشعر الفارسى تستحق أن تشارك في شهرة الرباعيات
فلا شك أنها ترجمة جرترود بل (Gertrude Bell) لشاعر شيراز الغنائى العذب. كانت هذه الترجمة
الثمرة الأولى لعلاقة مشهورة بالشرق الأوسط أنتجت كتب رحلات شائقة بديعة، واليوم
تحببها إحياء فذا الآنسة فريا ستارك (Freya Stark). أما ترجمة جرترود بل فقد ظهرت للمرة
الأولى في سنة ١٨٩٦ وكانت فوزاً مدهشاً حازته تلك الباحثة الأكسفوردية بعد دراستها
للفارسية أربع سنوات. وكان من أقدم أصدقاء الآنسة بل والمعجيين بها أدوارد جراڤيل
براون (Edward Granville Browne)، أعظم عالم بالفارسية ولد في غير بلاد الفرس. غامر براون
في ميدان الاستشراق فعلم التركية وهو بعد صبي إذ أراد أن يجارب في صفوف السلطان ضد
فيصر الروسيا. ولكن الحرب انتهت قبل أن يستطيع البطل الفتى ركوب سفينة، فتوجه براون
(وهو ابن أحد المهندسين أراد والده أنه يتمن الطب) إلى كمبردج حيث درس لباكالوريوس الطب
وشهادة الجدارة في اللغات الشرقية في آن واحد. ويقال إن المناسبة الوحيدة التي مارس فيها
مهنته الطبية كانت حين تهور طالب مبتدىء بكلية بمبروك فاستعمل وصفة قديمة لصنع الحجر الممزوجة
بالتوابل. ومهما يكن من الأمر فإن براون في أثناء السنة التي قضاها بين الفرس حدثت له تجربة
شخصية بالعقاقير الخطرة كادت تنقلب مأساة، فإنه حين أصيب بالرمس جرب تأثير النيج وكاد
لاينجو من عادة الإدمان. وقد ظل براون على اهتمامه بالطب، وقد من بين علامات الإحلال
التي لقيها ما أبهجه مثلاً أبهجه أن دعى إلى إلقاء محاضرة عن الطب العربى أمام كلية الأطباء.
وقد كان براون في فازس حين كانت ذكرى المذهب البابى المضطهد لا تزال حية، ولما كان
ذهنه على ظمأ لا يروى إلى الجدل الدينى فإنه قضى سنوات كثيرة يحكى قصة هذه الحركة
الغربية بمالكفه عناء كبيراً. ولكن ما اختلف الأدب الفارسى مستولياً على أعظم حبه، وقد قضى
عشرين سنة يؤلف كتابه البارع (تاريخ الأدب الفارسى). لكن براون لم يقتصر على أن
يكون باحثاً مدرساً نابضاً منقطعاً إلى الكتب، بل إنه أحياناً أرفع التقاليد الاجتماعية للحياة في
الكلية، كما أنه في عالم السياسة ناصر ما قامت به فارس الحية من مجاهدات ديمقراطية أولى
وإن كانت هذه قد ماتت في مهدها. وحين توفي نمته الأمة الفارسية بأجمعها، وعقد اجتماع
خاص للمجلس لرنائه، وتكلمت جريدة طهرانية بلسان الشعب قائلة: «ليس في تاريخنا من
تعادل خدماته للأدب الفارسى خدمات براون إلا ما أداه الملوك العظام مثل محمود الغزنوى مولى
الفردوسى وسنجر السلجوقى حامى أنورى، وبينما هما قد جاهدوا في سبيل وطنهما إذ يبراون
وقد أنفق كل جهده لكى يحيى ويعمم لغة ليست لغته الأصلية. سيبقى براون خالداً في

قلوبنا وستحفظ له فارس بذكرى لا تمحى ، ذكرى عزيزة غالية لصديق عظيم نيل .
حين كان ا. ج. براون أستاذ كرسى السير توماس آدمز فى كبردرج كان زميله د. س. مرجليوث يحتل الكرسى اللودى فى اكسفورد ، وهو رجل نعى حديثا ووصف بأنه لم يكن فى حيله من يساويه فى غزارة علمه واطلاعه العالم . ومع أن مرجليوث قد اقترن اسمه بالدراسات العربية بنوع خاص إذ إليها أسدى مؤلفات عديدة جليلة الشأن ، فإن عنايته شملت كل ميدان الدراسات السامية . فكان كزوجته عالما بارعا بالسريانية كما أنه أجاد العبرية والحبشية . وكذلك مغامراته فى الدراسات اللغوية اليونانية وإن تقطب لها حين الدارسين الهلينيين فى على الأقل قد عاونت معاونة جسيمة فى إعادة تركيب نص (كتاب الشعر) لأرسطو . ومن بين التلاميذ الكثيرين الذين درسوا عليه فى سنى أستاذيته الحمسين وزيرنا الحالى للشئون الخارجية المستر إيدن . وحينما افتتح معهد الدراسات الشرقية بلندن فى الحرب الماضية كان مديره الأول وأستاذ الفارسية به السير دنيسون روس (Denison Ross) وكان أول أستاذ للعربية به السير توماس آرنولد (Thomas Arnold) وكان كلاهما قد شغل مناصب ممتازة فى الهند فكان روس فى كلكتا وآرنولد فى عليكره ، وفى تلك الأيام أحيا كلاهما ذكرى الرواد البنغاليين . وقد ألف آرنولد مؤلفات جيدة غزيرة العلم عن التاريخ العربى ، ثم بعد ذلك صار حجة بارزة فى الفن الإسلامى وقد زامله فى هذه الدراسة الفنية علامتا الخير وشاعرنا لورنس بنيون (Laurence Binyon) . أما روس فكان لغويا مغامرا حاول أن يصل إلى سعة أفق السير وإيم جوز وكاد أن يدرك مراده ، وعلى كل حال فقد أجاد عدة لغات وأحسن الإلمام بأخرى كثيرة ، كما أنه كتب كتباً كثيرة وكان مرآة انعكس منها العلم والمعرفة على جمهور الشعب وهو كان فوق كل شئ رجل إجتماع ومسامرة حسن العشرة جم اللطف والإيناس ، ومتملكا لبديهة سابقة وفكاهة حاضرة مديحة . وقد خلف ا. ج. براون صديقه طول حياته وهو ر. ا. نيكلسون (R. A. Nicholson) ، عميد المستعربين الأحياء ، وهو رجل ذو معرفة فائقة واجتهاد لا يشق له غبار . ومع أنه لم يزر الشرق قط فقد أحاط فيها بالعقلية الإسلامية إلى حد لا يساويه فيه أى معاصر ، وهو أعظم عمدة فى التصوف الإسلامى . وكتابه (تاريخ العرب الأدبى) هو أجود كتاب عن هذا الموضوع فى أى لغة . ونشره وترجمته لشعر الشاعر الفارسى جلال الدين الرومى ، ناظم أربع شعر صوفى فى العالم كله ، هو عمل فائق ممتاز يسمو على أى عمل آخر عن هذا الأدب الذائع الصيت . ونيكلسون مثال كامل للدارس الذى يصل فى دراسته إلى روح أمة نائية ويسمج مع كل أنعامها وخلجاتها .

منذ عهد وارين هيستنجز وجد بين ساستنا كثير من فتنوا بالثقافة الإسلامية ، وغير قليلين منهم دونوا تاريخ الأمم الإسلامية . فوجدت فارس فى اللورد كيرزون صديقا مخلصا ، كما وجدت مصر صديقا فى اللورد لويد الذى تم قصة اللورد كرومر بإجادة وبراعة . وإن كل مستشرق ليأمل أن المستر إيدن الذى بشرت حياته الدراسة بالخير الكثير للدراسات الإسلامية يجد بعد انتهاء مشاغل الحرب الحاضرة الثقيلة من وقته فراغا يسمح له بأن يسدى إلى الدراسة

العربية والفارسية ما أسداه جلاستون إلى اليونانية، وأن ينفخ من إلهامه في حيل ليس يخلو من الموهبة حتى يحتفظ بالأسبقية في عالم الاستشراق، تلك الأسبقية التي أسست في البنغال منذ قرن ونصف قرن ولم تصر بذ حيثذ إلى الضياع.

شهرار اخرش بيدان ميس كينين



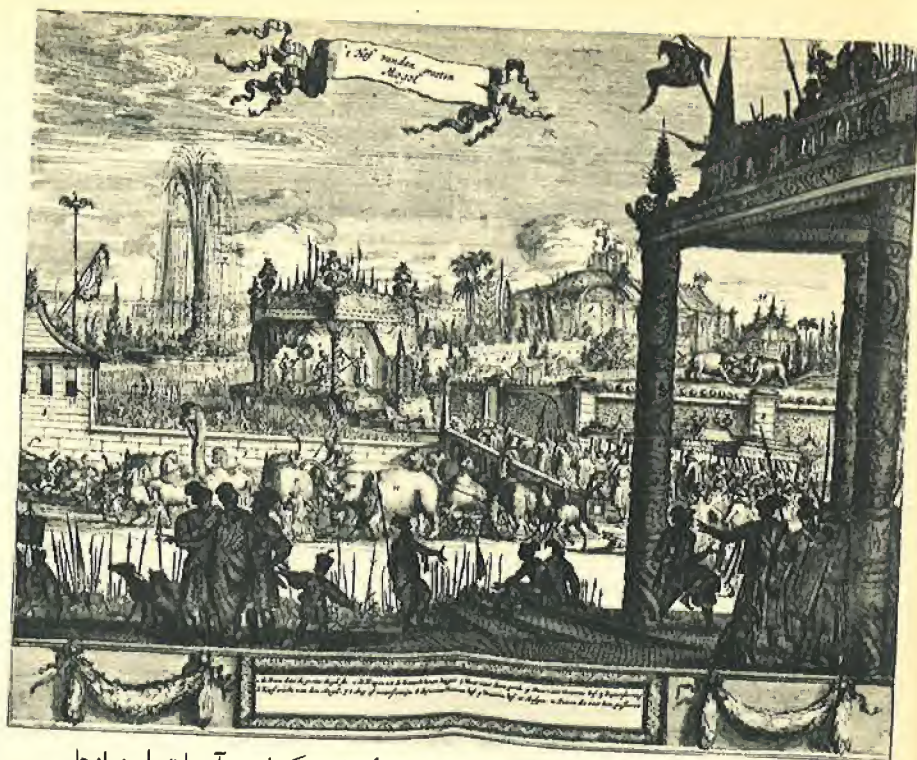
تصوير من مخطوطة فارسية . الصورة الاقتاحية لرباعيات عمر الخيام ترجمة ادوارد فنتجرالد .
الطبعة الرابعة سنة ١٨٧٩



إدوارد فتجرالد ١٨٠٩-١٨٨٣.
تصوير بالقلم الرصاص لسيدنج

أوجد كشف طريق الرأس إلى الهند فرصا للريح الوفير يستدرها تجار غربي أوروبا. ولم تكن ميادين الاستكشاف الفكري التي فتحت أمام لغوي الغرب بأقل اتساعا، وإذا كان محصول الدارس قد تأخر عن حصاد التاجر فليست علة ذلك عدم الاهتمام وإنما التقدم البطيء الذي صادفه العلم اللغوي الصحيح. وفي واقع الأمر لم يتم رسم الخريطة اللغوية للهند إلا في عصرنا هذا. ولا يزال في الأصقاع النائية مجاهد لا تعد لا تنفك تحتاج إلى التخطيط والوصف المضبوط. وما يدل على مدى خلط الآراء وتشويش الأفكار التي كانت سائدة حتى نهاية القرن الثامن عشر أن كتابا من ذوى الجذ ظلوا أجيالا كثيرة يعتقدون ويقررون أن من أكثر اللغات انتشارا في شبه جزيرة الهند لغة الملايو.

كان إدوارد تيري (Edward Terry) أول الإنجليزي ذكر في كتاب مطبوع اللغات العامية للهند، وذلك في كتابه (رحلة إلى جزر الهند الشرقية) في سنة ١٦٥٥. ويروي عن توماس كوريت (Thomas Coryate) أنه تكلم بالفارسية والهندوستانية بطلاقة تامة، ولا شك أن كثيرين غيره من الموظفين الأوائل لشركة الهند الشرقية تحصلوا على إلمام نافع بأهم لغات الهند. ولكن لكي نوضح الأساس المضطرب الذي بنى عليه مثل هذا الإلمام يكفينا أن نروي ما كتبه فراير (Fryer) في سنة ١٦٧٣: «لغة البلاط هي الفارسية، ولغة الحديث المعتادة هي الهندوستانية. وليس عندهم حروف خاصة بها إذ تسمى لغة الكتابة (بنيان) - والهندوستانية خليط من الفارسية والسكلافونية مثلها في ذلك مثل كل لهجات الهند.» وفي نفس السنة ظهر مؤلف (آسيا) لأوجلي (Ogilby)، وعلى عاتقه تقع مسؤولية إيجاد الفكرة الخاطئة عن لغة الملايو، ولعله خلط بينها وبين الملايامية وهي لهجة هامة منجنوب الهند، وسائر ملاحظاته تكاد لا تكون أكثر إصابة وصحة وإن كان لا بد أنها بدت غريبة في ذلك العصر، ومع أن العلماء ذوى الاجتهاد والكد في هذه البلاد وفي القارة الأوربية ظلوا يجمعون أمثال تلك الشذرات من الأنباء المختلطة التي استطاعوا الحصول عليها، فقد مر قرن آخر قبل أن ينجح العلم اللغوي الهندي في العثور على أساس أثبت وأرسخ من التخمينات الشاردة الجاحجة والافتراضات الشديدة المبالغة. ومع ذلك يفرض العدل علينا أن نقرر أن دراسة اللغات منفردة قد تقدمت تقدما عظيما برغم كل العراقيل. هذا ولما كانت الأبحاث التالية قد صيرت من الممكن للبداية اليوم أن يقبل على عمله مجزأ بعدة متقنة من كتب النحو والمعاجم وكتب المطالعة فإنه مما يتطلب قليلا من الخيال تصور حالة الارتباك التام التي حاول فيها المتبدئ في الهند أن يشتق طريقا خلال ما بدا كأنه أدغال متكاثرة من الكلام غير المخطوط الذي اعترضه حين وصوله منذ قرنين أو ثلاثة. وإن النجاح في تمييز وتحليل أكثر من ثمانمائة لغة ولهجة مفردة شائعة بين سكان بناهر عددهم أربعمائة مليون نسمة - إن هذا النجاح لا محيص من أن يبقى دائما من أعظم ما حصله الصبر الإنساني والبراعة الدراسية. وهذا العمل الهائل قد تم كله تقريبا على يد



قصر الامبراطور المغولي العظيم بدلي . رسم منحور مأخوذ من كتاب «آسيا» لجون اوجلي

المستشرقين البريطانيين قام معظمهم به كعمل إضافي زائد اشتغلوا به في أوقات فراغهم القليلة . من المستحيل أن يبني علم لغوى صحيح بلغات الهند قبل أن تدرس السنسكريتية دراسة جدية علمية فإنها اللغة الأم لسلالة عظيمة العدد . وكان ثلاثة أرباع القرن الثامن عشر قد انصرمت حين حدثت إحدى تلك الظواهر الغريبة المحيرة التي تعرفها كل العلوم وجميع الفنون ، ألا وهي الظهور المفاجئ لرجل عبقرى واجتماع مدرسة حوله . اسم ذلك العبقري السير وليم جونز ، وهو رجل يجمع الكل على اعتباره من أعظم من عاش من اللغويين . ولد جونز في لندن وتعلم في مرو وفي الكلية الجامعة بأكسفورد ، وقد شعر منذ بكرة شبابه بميل إلى الدراسات الشرقية وعاقبته ذاكرة خارقة للمعتاد مكتبته في إحدى المناسبات من أن يكتب النص الكامل لرواية (الزوجة) لشكسبير عن ظهر قلب . ثم إنه كما سبق أن ذكرنا سرعان ما أجاد العربية والفارسية . وقد درس الحقوق وصار محاميا في سنة ١٧٧٤ وبدأ يحتل مكانة ممتازة . وفي سبتمبر ١٧٨٣ وصل إلى الهند ليصير قاضيا في المحكمة العليا بنورت ولیم ، وفي الحال بدأ يتعلم السنسكريتية . وفي سنة ١٧٨٤ أسس مع عدد من الزلاء البريطانيين الآخرين الجمعية الآسيوية ببنغال وكان غرضها «القيام بالابحاث في تاريخ آسيا وآثارها القديمة وفنونها

وعلموها». كان هذا حدثا عظيم الشأن، إذ هنا لمجد بدايات حركة علمية قدر لها أن تعم كل أنحاء الدنيا. وفي بنغال صادف جوز صديقا له نفس المشارب والميول وهو تشارلز ولكنز (Charles Wilkins) الذي كان قد بدأ بمفرده يدرس السنسكريتية دراسة منظمة. ولقد أدى تعاون هذين الذهين الشيطانيين اللذين لا يروى ظمأهما إلى المعرفة إلى نشر عدد من الأبحاث المستكشفة التي وضعت أساس الدراسة اللغوية الهندية. وقد ترجم جوز تشريعات مانو «الذي يعده الهندوس أول المخلوقات وأقدم المشرعين بل وأعظمهم قداسة». ثم إنه أيضا عمل الترجمة الأولى للرواية التحيلية المشهورة (شاكنتالا) التي ألفها كاليداسا. إلا أن أعظم استكشافاته هو إدراكه للعلاقة النسب بين السنسكريتية وبين اللغات الأخرى التي تسمى الآن الهندو-أوربية. ولم يكن قد مضى أكثر من ثلاث سنوات على وصوله إلى الهند حين أعلن هذه الملاحظات التي كانت فاتحة لعهد جديد في التاريخ. «إن اللغة السنسكريتية كائنا ما كان أصلها القديم لذات تركيب بديع. وإنها لأتم كالا من اليونانية وأوسع غنى من اللاتينية وأبرع إتقاناً من كليهما. ولكن بينها وبينها شبةا شديدا سواء في مواد الأفعال أو في صيغ النحو، وهو شبه أشد من أن يكون نتيجة لحض الصدفة. بل إن اللغوي لا يستطيع أن يفحص ثلاثتها جميعا دون أن يؤمن بأنها نشأت من أصل واحد لعله قد افترض. وهناك سبب محانس وإن لم يكن على نفس القوة يدعونا إلى أن نفترض أن كلتا القوطية والكلتية وإن كانتا قد مزجتا بأسلوب شديد الاختلاف فهما والسنسكريتية من أصل واحد. ويمكن أن تضاف الفارسية القديمة إلى نفس العائلة إلا أن هذا ليس مجال التحدث عن المسائل المتعلقة بآثار فارس القديمة». تلك هي أصول الدراسة اللغوية المقارنة الحديثة. وقد أصيب جوز بالتهاب الكبد وقضى لحبه في سنة ١٧٩٤ ولما يزل في غفوان نشاطه الذي لا يكل وعقله الذي لا يبارى. وكان ككثيرين غيره من كبار المستشرقين البريطانيين شاعرا بارعا إلى جانب كونه عالما. وقد ألف ديوانا كبيرا من الأشعار المترجمة والأصيلة. وكان مجيد الكتابة بالفرنسية، وأبحاثه تشمل ملاحظات على القانون والتعليم والفلك والطب والنبات، وقد ترجم من الإيطالية واليونانية واللاتينية والعربية والفارسية والتركية والسنسكريتية. ولكن وليم جوز سيخلد في صفحات التاريخ عن جدارة كلغوي ذى علم شامل. وإنه حقا لأبو الاستشراق البريطاني

أما السير تشارلز ولكنز الذي قد أشرنا إليه مرتين فقد ولد في فروم في سنة ١٧٤٩ أو ١٧٥٠ وتوجه إلى الهند ولما يزل في العشرين من عمره ككاتب في الشركة. وسرعان ما أجاد الفارسية والبنغالية، وحوالى سنة ١٧٧٨ بدأ يدرس السنسكريتية على العلماء الهنود. وهو حفيد لأخي النقاش روبرت بيتان راى (Robert Bateman Wray) ولعله منه ورث تلك الموهبة التي تجلت في رسمه وسبكه لأول حروف طبعت بها الفارسية والبنغالية في الهند، وهو عمل أكسبه اسم (كاكستون الهند). وفي سنة ١٧٨٥ أشار هيستنجز على شركة الهند الشرقية بأن تقوم بطبع ترجمة ولكنز للكتاب السنسكريتي (بهاجند-جيتا). «قابلها الكل بالترحيب والتهليل كفجر ذلك الضياء الباهر الذي تألق عقبها في إنتاجات السير وليم جوز والأستاذ

ولسن وغيرهما والذي بدد
الظلام الذي صارت إليه دراسة
اشتقاق اللغات الأوربية
والأسيوية بسبب مخدلق علماء
اليونانية والعبرية . « وبعد
ذلك بقليل أصيب ولكنز بمرض
اضطره إلى الرجوع إلى وطنه ،
ولكنه شفى فواصل دراساته ،
وفي سنة ١٨٠١ عين الأمين
الاول لمكتبة الشركة ومتحفها
في شارع ليندهول . وقام بأعباء
هذا المنصب خير قيام حتى
وفاته سنة ١٨٣٦ . كان ولكنز
ذاهمة لا تنك ولا تهن وقد
أسدى أبادى وفيرة إلى
الدراسات الفارسية
والسنسكرتية . وقد ألف
كتابا في نحو اللغة السنسكرتية
ظل سنين كثيرة عمدة الكتب
في هذا العلم ، وقد وضع جزءا
من منهج الدراسة في كلية
الشركة في هيليرى . ولما
كان من الأعضاء المؤسسين
لجمعية بنغال الأسيوية كان
طبعيا أن يلعب دورا هاما
في تأسيس الجمعية الاسيوية
الملكية لبريطانيا العظمى
وايرلندا في سنة ١٨٢٣ ،
أما مؤسس هذه الجمعية فهو
ييتين . والواقع أن كولبروك في أول
بنغال . فلقد وصف ولكنز مرة بأنه
مستودع للسخافات « ولكن انتهى به

الأمر إلى أن آمن بالمذهب الاستشراقي، وقدر له في حياته ليس فقط أن يصير من أعظم الذين أمدوا الدراسة اللغوية السنسكريتية بأبحاثهم بل أيضا من أسخى من عاونوها بالمال. كان كولبروك يجتهد منصبا رفيعا في خدمة الشركة، ففي سنة ١٨٠١ عين القاضي الأكبر لحكمة الاستئناف العليا، وفي ١٨٠٥ صار عضوا للمجلس الأعلى. وفي أثناء احتلاله لهذه المكانة السامية واصل أبحاثه اللغوية وفي نفس الوقت أنفق قدرا عظيما من المال في جمع مجموعة نفيسة من المخطوطات السنسكريتية أهداها في سنة ١٨١٩ إلى مكتبة الشركة. كان هنري كولبروك مثالا نموذجيا لكثير من زملائه البريطانيين في الهند خلال تلك الحقبة المدهشة من نصف القرن. وإن ما أسداه إلى المعرفة الإنسانية—بصرف النظر عن دراسته الخاصة للغوية—ليشمل الفلك والقانون والفلسفة والرياضيات والبحث الديني المقارن والزراعة والاقتصاد بل فن تسلق الجبال أيضا.

بهذه الكيفية وضعت الأسس الصحيحة للدراسة اللغوية السنسكريتية تدريجيا. وفي نفس الوقت كان علماء بريطانيون آخرون يبحثون في اللغات الدارجة للهند، ذلك أنه من الواجب أن تذكر أن السنسكريتية وهي لغة لها نفس القدم الذي اليونانية واللاتينية كانت قد انقرضت من وقت بعيد كأداة تعبير في الحياة اليومية. بينما أدى تدهور الامبراطورية المغولية والحلال السلطة الإدارية التي كانت مركزية في دلهي إلى التدهور التدريجي للغة الفارسية كأداة الثقافة والتأليف وظهور اللغات الدارجة كوسائط للتعبير الأدبي بعد أن كانت محقرة. هذا وما سيخلفه كفخرة للعلماء البريطانيين من موظفين إداريين وجنود ومبشرين أنهم في أثناء معيشتهم بالهند في ذلك العصر لعبوا دورا رئيسيا في تشجيع هذا التطور الهام. وكان رائد الأبحاث الدارجة الهندية هو وليم كيري (William Carey) وهو مبشر من سرامبور وصل في سنة ١٧٩٣ وبدأ في الحال بترجم الكتب المقدسة إلى مختلف اللغات الهندية. ولقد ساقته جهوده إلى أن يدرس النحو والمفردات لما يقرب من ثلاث وثلاثين لغة مختلفة، وقد نشرت نتائجه هذه الدراسات في سنة ١٨١٦ في تقرير مذيّل بإمضاء كيري، وج. مارشان، و.و. وارد. وهذا التقرير يحتوي على ترجمة لصلاة الرب في كل من اللغات المدروسة، وهو عرض لغوي قيم كان أبا كل البحوث التي أعقبته. وإليك قائمة باللغات التي شملها عرض كيري: السنسكريتية والنغالية والهندية والكشميرية والدوجرية والووشية والسندية والسندية الجنوبية والكشمية والكوجراتية والكنكونية والبنجابية أو الشيخة والباكثيرية والمروارية والحويا بورية والأوديا بورية والهروتية والمالوية وأميتالية والنسالية والأسامية والأوريسية أو الأوتكولية والتلنجة والكرناتية والبشتوية أو الأفغانية والبلوتشية والحاسبية والبرمانية. وقد تهجينا أسماء هذه اللغات كما كتبت في التقرير. وما هو جدير بالذكر أن واضعي هذا التقرير يجانب ما ارتكبوه من أخطاء وإغفالات متعددة لم يشعروا بوجود مجموعة مستقلة من اللغات الهندية الجنوبية أو الدرافيدية. وقد كان من حظ ب. ه. هودجسون (B. H. Hodgson) أن يصحح هذا الخطأ.

عقب ذلك استمرت الدراسات الجدية للغات المنفردة على أساس علمي أكثر صحة. وقام عدد كبير من المتحمسين بتصنيف كتب عديدة للنحو والمفردات وضيق الفراغ لا يسمح

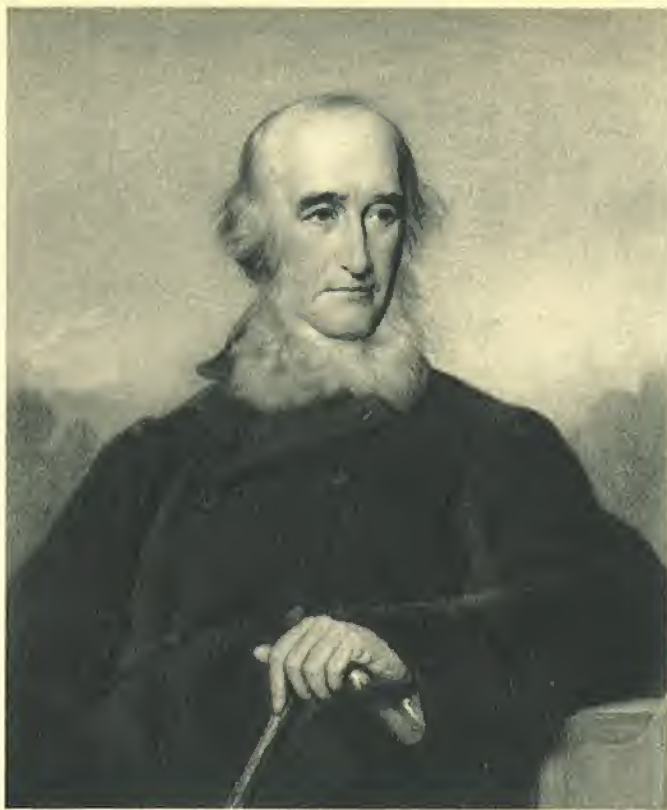




السير ولیم جونز ۱۷۴۶-۱۷۹۴
صورة زيتية من صنع السير يوشع رينولدز .

لنا بتعداد الاسماء حتى ولو اقتصروا على الشخصيات البارزة. ولكن لا شك أنه في يوم ما ستدب دائرة معارف للدراسات الشرقية، وإذ ذاك سينال كل مجتهد صبور في هذا المحصول الوافر من المعرفة ما يستحقه من مديح وتقدير. وإذ ذاك أيضا يذكر شيء عن الوسائل التي استخدموها لإتقان أبحاثهم، من سعى ممل مضمّن في تدوين الكلمات والصيغ التحوية من شفاه أبناء اللغة، ومقارنة النتائج، وحذف للأخطاء، وبناء لنحو وتركيب علميين لم يكن لهما من قبل وجود في أحيان كثيرة، وتدوين للأصوات على الورق للمرة الأولى في اللهجات النائية. وليس من اسم يستحق من الفخار والمجد أكثر مما يستحقه اسم بريان هوتن هودجسون. وهو رجل نسج على منوال السير ولهم جوز نفسه. ذلك العلامة العظيم حقا، الذي أكسبه حياته المثمرة خلال ما يقرب من خمس وتسعين سنة إعجاب وحب عالم المعرفة بأجمعه، والذي أغنى سخاؤه وجوده مكتبات كلكتا ولندن واكسفورد وباريس، فضله عظيم على دراسة علم الحيوان وعلم أصول السلالات البشرية في نبال التي قضى فيها عدة سنوات كندوب بريطاني. وبعد ذلك عمت جهوده ميدان الدراسة اللغوية الهندية على سبعة، كما شملت لغات الهند الصينية والتبت. وأفضل وصف وأجوده للرجل وعمله هو كتاب (حياة هودجسون) الذي ألفه السير و. هنتر (لندن ١٨٩٦)، ولكن من الشائق أن نرى هنا ما مدحه به عالم آخر عظيم باللغات الهندية توفي منذ قليل بعد أن عاش حياة تكاد تقرب في طولها من حياة هودجسون، ألا وهو السير جورج جريسون (George Grierson) الذي يقول: «ثم تلت ذلك رسائل هامة عديدة لا تزال تعد كلاسيكية ولا تزال مليئة بالمعلومات المتنوعة الصائبة عن كل من اللغات غير الآرية للهند وما جاورها من الأقطار كلها تقريبا. ولا يسمح لي الفراغ حتى بمجرد إعطاء تعداد جاف للموضوعات التي أكسبها بهاء وزينة. ولكن يكفي أن أقول إنه وضع مجموعات مقارنة من المفردات لمعظم اللغات الهندية الصينية المنطوق بها في الهند والأقطار المجاورة، وللصيغ الكلامية المندأوية والدرافيدية. وقد قارن بين هذه وبين لغات كثيرة لآسيا الوسطى باحثا عن أصل مشترك لجميعها... حقا إنه لم ينجح في تدعيم نظريته المحببة من وجود أصل مشترك لكل اللغات التي استكشفها، وهذا أمر لا يزال تحت البحث ولا تزال آراء العلماء فيه مختلفة، ولكن هذا لا يكاد يحيط من قيمة كتاباته، فإن بها قدرا وفيرا من الشواهد على اللغات الأصلية للهند وهي شواهد لم تفقد قط. وميزاتها اتساع ميدان الدراسة ووضوح الترتيب ودقة تناول».

لقد قطعت حياة هودجسون الطويلة التسلسل التاريخي لمرضنا هذا، فلنرجع بعض الشيء لتتبع جادة الطريق الذي اختطه جوز وولكنز وكولبروك. قد رأينا مبلغ الحماسة ومقدار الجهد والنفقة الشخصية التي بذلها هؤلاء العلماء في تتبع «تسلياتهم» المحببة. وهذا يضاعف من مرارة ما كتبه كولبروك في خطاب إلى ه. ه. ولسن بتاريخ ٢٤ ديسمبر ١٨٢٧ إذ يقول: «مهما يكن مواطنونا مقصرين وعديمي الاهتمام فياني وإنك لنشر بقدر من الرضى إذ نرى أنه في اتاعنا خطوات السير و. جوز لم نصب إلا حظا يسيرا من المعاونة وقدرا تافها



ه. ت. كولبروك ١٧٦٥-١٨٣٤.

من التشجيع وبرغم ذلك كدنا ففتح كل درب وتركنا للأجانب الذين يستضيئون بالشعلة التي أوقدناها إتمام البيان الذي وضعنا أساسه. « هذا ماكتبه كولبروك العالم السنسكريتي منذ أكثر من قرن : وإن تنديده المرير بقلة اهتمام الجمهور قد رددته كل مستشرق بريطاني مذ يومئذ وكان في ترديده محقا سواء أكان ميدان بحثه العربية أم الصينية أم الجاوية أم التركية . وقد ندر أن حدث في تاريخ العلم ان مثل هذا القدر من العمل البالغ الأهمية البارع الجودة قد قام به العاملون في مثل هذا الجو من التقصير وعدم الاهتمام والتشجيع . ذلك أن الاستمراق في هذه البلاد لم يكد يشفى بعد بما أنزله به اللورد ماکولى من قدح ميب ناجم عن جهل مطبق . وإتنا في يومنا هذا لتتجسر على النتائج الأليمة التي أتتجها هذا الإهمال العجيب للوشائج الثقافية التي خلقها بيننا وبين شعوب آسيا حيل كان منذ قرن ونصف قرن أعظم حكمة وأوفر عقلا من أى حيل خلفه من الانجليز . لم يقتصر الخطب على أن علم الاستمراق البريطاني الحاصل قد ترك للأجانب - وبخاصة الألمان - ليستثمروه : بل الأدهى من ذلك أنه قد صار من المؤلفين



السير تشارلز ولكنز ١٧٤٩-١٨٣٦.

في هذا الوطن وطن جوز وهودجسون الاعتقاد بأن هذه الدراسات يجيئها الأجانب خيرا منا، بل أن يشجع العلماء الأجانب في حالات عديدة ينأهمل بنو جلدتنا. خلف ولكنز في شارع ليندهول هوراس ولسن (Horace Wilson)، وكان أول من احتل كرسي بودن للسكريتية في اكسفورد. وقد هداه إلى طريق الاستشراق عمله في مصنع سك العملة بكلكتا، إذ عمل ثم تحت إشراف جون ليدن صديق السير والتر سكوت، وسعود إلى الحديث عنه بعد. كان ولسن قد توجه إلى الهند كطبيب جراح، ولكنه استبدل بالمبضع قالب السك، ثم استبدل بهذا القلم والرداء الجامعي. فله در هؤلاء الرواد البنغالين ما أشد مرونة قلوبهم اكتب ولسن بغزارة عن عدد بالغ التنوع من الموضوعات. وإن شخصيته وكفائته قد وصفتا أجمل وصف فيما مدحه به تلميذه السير مونير وليمز إذ قال: «الحق أن ولسن مدين بشهرته لجرائته في اقتحام الأبحاث التي لم يطرقها أحد من قبل، ولجودة إنشائه وما وهب من قدرة على العرض الواضح الجلي». وتعدد نواحي عبقرية إلى حد يفوق المعتاد

بما فيها مواهبه الشعرية والدرامية والموسيقية ذات الطراز الرفيع، وفوق كل شيء آخر لاجتهاده الذى لا يعرف الكلال ولتشعب مدى فضله على أغلب فروع البحث الشرقى. ولولسن ترجحات ومقالات كثيرة عن الأدب الهندى أشهرها ترجمته لرحفيدا، وهى آخر منتجاته الأدبية.

هناك موظف آخر فى مصنع سك العملة بكلكتا علا قدره كخبير بالمسكوكات وكالم لغوى فى وقت معاً: وهو جيمس برنسب (James Prinsep). وعلى الرغم من قصر جل حياته فإنه - وهو من ولدوا فى لندن - قا ترك طابعه على فروع كثيرة من المعرفة الهندية، ولكن استحقاقه الجوهرى لبقاء الذكر هو عمله الاستكشافى فى حل رموز نقوش أشوكا. وقد زامله فى هذا العمل رفيق سعى فى درس حياة أشوكا المجيدة من ناحية مختلفة جد الاختلاف. وقعت سيلان تحت الحكم البريطانى فى سنة ١٧٩٦، وفى هذه الجزيرة ولد جورج ترنور (George Turnour) فى سنة ١٧٩٩، وهو حفيد اللورد ونترتون الأول، والتحق بمجندة الحكومة فى سنة ١٨١٨، ولم يشب من همته عدم اهتمام معاصريه، بل أقبل على العمل الحاد ليحيد السفالية الدارجة والبايئة الفصحى معاً. وقد تعلم البالية على الكهنة البوذيين وكانوا إذ ذاك معلميها الوحيدين. ولم يعيش ترنور طويلاً بعد وفاة صديقه برنسب، ففى سنة ١٨٤٢ غادر سيلان غليلاً ومات فى السنة التالية. وكلا الرجلين برغم قصر حياتهم مهد الطريق لما تلا من أمجاد عظيمة الأهمية. بعد ميلاد ترنور فى سيلان بعشرين سنة ولد فى بمباى المجلزى قام بدوره بترقية عمل كولبروك وولسن. ذلك هو السير مونير وليمز (Monier Williams) وقد ذكرنا أنه درس على ولسن فى أكسفورد، ثم خلف استاذة على كرسي بودن بعد أن شغل كراسى السنسكريتية والفارسية والهندوستانية فى كلية هيليرى. وأحسن ما يعرف عنه قاموسه السنسكريتى وكتبه عن البوذية والهندوسية وترجمته لشكوتالا. وكان مونير وليمز معاصراً للرجل الذى أفلح أكثر من أى شخص آخر فى إثارة اهتمام مواطنيه بحكمة الهند القديمة، ألا وهو السير إدوين آرنولد (Edwin Arnold) المولود بمجرى فزاندى فى العاشر من يونيه سنة ١٨٣٢. وبعد حصوله على بكالوريوس الفرف فى أكسفورد توجه إلى كلية دكان فى بونا. ثم عاد إلى المجلترا عقب الثورة الهندية وصار محرر المقالة الافتتاحية بمجريدة الدبلى تلغراف ثم صار رئيس تحرير الجريدة لمدة ثمان وعشرين سنة. وكان آرنولد إلى جانب كونه عالماً كفواً باللغات الشرقية كاتباً غزير الإنتاج، وقد أصدر سلسلة كاملة من الكتب المؤلفة والمترجمة على الفكر الهندى والسياسة الهندية. وقد راجت كتبه رواجاً عظيماً، وأشهرها (نور آسيا) طبع ستين طبعة المجلزىة وثمانين طبعة أمريكية فى خلال عشرين سنة. وفى أواخر أيامه زار اليابان وكانت لا تزال ذات جاذبية وسحر فشغف بالثقافة اليابانية وكانت زوجته الثالثة يابانية. ولقد خيمت غيوم البؤس على السنوات الأخيرة من هذه الحياة الباهرة المثمرة التى أوقفها صاحبها على توطيد الصداقة والتفاهم بين المجلترا وآسيا، إذ أصيب آرنولد بالعمى وهو فى الثانية والستين من عمره. وقد توفى فى سنة ١٩٠٤ بعد حياة طويلة مليئة بالمفاخر. وفضلاً عن (نور آسيا) حظلت كتب أخرى له برواج مستحق ومنها (الأنشودة السابوية) وهى ترجمة شعرية لبهاجد - جيتا. و(نور العالم) وهو حياة المسيح.

(و درر الإيمان) وهى مجموعة من القصائد الدينية من بينها تفسيرات جميلة للدين الإسلامى .
 (والشعر الهندى) . وقد ألف أيضا كتب أسفار شائقة ورواية مسرحية عن الحياة اليابانية .
 وكان حب آرنولد للهند شاغله الأول . ويجدر بنا فى هذا الصدد أن نروى كلمات كتبها
 آرنولد وعبر بها أبلغ تعبير عن المثل العليا التى تتملك قلوب كثيرين سواء من مواطنيه الذين
 احسنوا خدمة الهند وبريطانيا . يقول آرنولد : «إنا ساعون فى أن ندخل إلى الهند فكرة
 لا يعرفها الشرق ، ولم تكن أوروبا تعرفها قبل أن علمتها إياها التجارة والمدن الإيطالية : تلك هى
 فكرة الحقوق الشعبية والمساواة أمام قانون نزيه مدون . فإن خرقنا حرمة العدل فى مهمتنا
 هذه وجعلنا مطمحنا قبل واجنا هدمنا عملنا بأيدينا . وإن راعينا العدل أتمت مهمتنا رسم دائرة
 الحضارة وأكملت محيط الامتزاج البشرى فسدت للشرق دينه العظيم الذى يدين له به الغرب
 فى الديانة والفن والفلسفة واللغة بل فى كل شيء تقريبا ما عدا فن الحكومة .»

فى مقالتنا القصيرة هذه لا مندوحة من أن ننفل ذكر كثير من الأسماء حتى ذات الصهرة
 والصيت ، ولذلك يجب أن نعتبر السير والشخصيات المدونة هنا كأمثلة على سواها من السير
 والشخصيات الوافرة العدد . ولقد جمعت نتائج هذه الجهود العظيمة فى الدراسات اللغوية المقارنة
 وجعلت أساس ذلك الكتاب القيم البديع (التخطيط اللغوى للهند) ، هذا الكتاب التاريخى العظيم
 الذى أحاطت فيه عبقرية مؤلفه الجبارة بثلاثة أجيال من العلماء الخبيرين بالهند . ذلك هو السير
 جورج جريسن (George Grierson) الذى لا زال ذكرى شخصيته الحية الدمة ماثلة فى قلوب
 الكثيرين من الأصدقاء والطلاب الذين نجعوا فيه حديثا . ولقد كتب جريسن بغزارة عن
 كثير من فروع الدراسات الهندية وأسدى أيادى طولى على الدراسة اللغوية السنسكريتية ولكن
 كل هذه الإنتاجات وإن كانت فى حد ذاتها كافية لتأسيس شهرة مستشرق عادى لم تكن إلا
 إنتاجا إضافيا للعبقرية التى أسدت على العالم (التخطيط اللغوى) . ولقد استغرق هذا الكتاب
 العظيم أكثر من ثلاثين سنة من التصنيف . ومما يدل على البساطة التى هى عنوان العظمة الحققة
 ما كتبه مؤلفه حين أتم مجهوداته : «لست أتصنع التواضع حين أعترف بأنى أدرك نقائص هذا
 التخطيط أكثر من أى فرد آخر ، ولا أنا اتصم بالزهو والغرور حين أدعى أن ما عمل فيه للهند
 لم يعمل لأى قطر آخر من أقطار الدنيا . ومهما يكن من الأمر فأنا أودع الكتاب ، واتقا بأن
 أخطأى ستغفر لى ، وأن ما به مما يستحق التقدير سيال التقدير الذى يستحق ، من محبى الهند
 الذين هم أكفاه لتمحيص ميزاته وقائمه .» ويمكننا أن نحصل على فكرة طفيفة بالمدى الشاسع
 لهذا المصنف التاريخى إذا عرفنا أن جريسن يمحى ما لا يقل عن ٨٧٢ لغة ولهجة ، ويعطى
 مجموعات مقارنة لمفردات ٣٦٨ منها .

استغرقت حياة السير جورج جريسن العلمية نصف قرن ازدادت فيه ظاهرة
 التخصص انتشارا سواء فى الدراسات الهندية أو غيرها من فروع الدراسات الشرقية . فليس
 من عيب ، أن كل علم يصل عاجلا أو آجلا إلى مرحلة لا يعود فيها المبتدئ بالبحث قادرا على
 أكثر من دائرة محدودة ضيقة فى حياته الواحدة . وينجم عن ذلك أنه يزداد انعزالا عن

تلك المبادئ الأساسية الشاملة التي تعمل هي لا سواها على إبقاء رابطة التفاهم والعطف بينه وبين عامة الجمهور. لقد مضى اليوم الذي كان يستطيع فيه العالم اللغوي الشامل أن يقتدى بمثل السير وليم جونز سواء في قيادته لطلائع البحث اللغوي أو في جعل ثمرات ذلك البحث في متناول القارئ العادي في صورة سهلة الفهم جذابة، بله أن يشمل بدائرة علمه العلوم الطبيعية والتاريخ والأديان للقطر الذي تختيره. ولكن على الرغم من العراقيل التي يفرضها ما يتطلبه التخصص والدقة العلمية الحديثة فإن وراء أصول الدراسات الشرقية جميعها مما يشوق الجنس البشري ويفتنه ما مكن كثيرا من المستشرقين في الجيلين الماضيين من أن يفسروا موضوعاتهم الخاصة لبني جنسهم المهتمين بكل الآداب الإنسانية وإن لم تمكنهم الفرض والفرار من دراسة اللغات الشرقية؛ وهؤلاء المستشرقون إذ فعلوا ذلك لم يصرفهم ذلك عن القيام بما له أهمية عظمى في موضوعاتهم الخاصة تلك. هذا العمل سواء للهند أو لغيرها من الأقطار قد شارك في القيام به رجال السياسة والحرب والإدارة والتبشير كما قام به الدارسون المحترفون. ومع ذلك لم يهمل البحث العميق في أصول اللغة الذي بدأه جونز واستأنفه هودجسون. فبينما خطت اللغات الكثيرة الوفيرة لبورما ولفند إذ باستكشافات السير أوريل ستاين تنقب عن لهجات نائية مات منذ عهد بعيد وهي أمدت الحبرين بمعلومات تكميلية كانت تفقر إليها رسومهم التخطيطية. فلقد قام ف. و. توماس وهو أكبر البحاين السنسكريتيين في عصره وخليفة لكلا ولكنز وولسن بوقف سنه الأخيرة على فك رموز القطع التي استكشفها ستاين مما يتطلب منه صبرا وجلدا يفوق حد التصديق، وإنه «ليمخر منفردا وحيدا باب مجار غربية من الفكر»، شأنه في ذلك شأن الكثيرين ممن سبقوه من المستشرقين البريطانيين، وهو يعلم أنه لا يستطيع الحكم النهائي على ثمرات جهودهم إلا الأجيال القادمة.

في يوم ما من المستقبل ستحكي الحكاية الكاملة للدراسات البريطانية لمعارف الهند، وهي قصة لا بد ستكون رائعة محيية، شائقة ملهمة، وليس فصلنا هذا إلا قبسا ضئيلا من هذا النور المبين، حتى إذا تنورنا سناه واصلنا رحلتنا إلى أن نصل إلى جزائر الهند الشرقية والشرق الأقصى فنرى ما قام به أبناء وطننا في لغاتها ومعارفها.



مدخل نهر بدانج . رسم محفور على النحاس الأحمر مأخوذ من كتاب «تاريخ سومطرة»
لمؤلفه مارسدن سنة ١٨١١

جزائر الهند الشرقية والشرق الأقصى

في سنة ١٢٩٢ زار ماركو بولو سومطرة ووجد هناك مسلمين ملاويين . ولكن الأوربيين لم ترسخ قدمهم في إقليم الملايو إلا في سنة ١٥١١ ، وكانوا برتغاليين . والبرتغاليون كانوا في ذلك الحين أعداء الإسلام . وكان ديجو لوبيز دي سكويرا قد زار ملقا في سنة ١٥٠٩ . ولكن أهلها «المغاربة» أو المسلمين الجُزيريين أحبطوا مساعيه في التجارة . وبعد ذلك بعامين ثار الفونسو دالبوكيرك باستيلائه على ملقا وانتزاعه إياها من يد الملاويين فظلت مائة وثلاثين عاما مركز السلطة البرتغالية . أما الأسبانيون فكانوا يطوفون بالكرة الأرضية إلى الغرب فلم يتغلغلوا وراء الفلبين ، وهكذا كان الهولنديون هم الذين استأنفوا مشروع التجارة في جزائر الهند الشرقية فاستولوا على ملقا في سنة ١٦٤١ وعلى سيلان في سنة ١٦٥٦ . واحتكرت شركتهم الهندية الشرقية تجار الملايو إلى أن استولى البريطانيون في سنة ١٧٨٦ على بنالنج . وكان القبطان البريطاني دريك قد اجتاز مضيق ملقا في سنة ١٥٧٩ ، وقامت شركة الهند الشرقية البريطانية بإرسال جيمس لانكستر إلى أشيه في سنة ١٦٠٠ لبدأ التجارة هناك ، ولكن مذبحه امبونا سنة ١٦٢٢ ومنافسة الهولنديين سببت إغلاق المؤسسات البريطانية في أرخيل الملايو ، وكانت بنكولن في شرقي سومطرة هي قصبتنا التجارية الوحيدة حين أسست

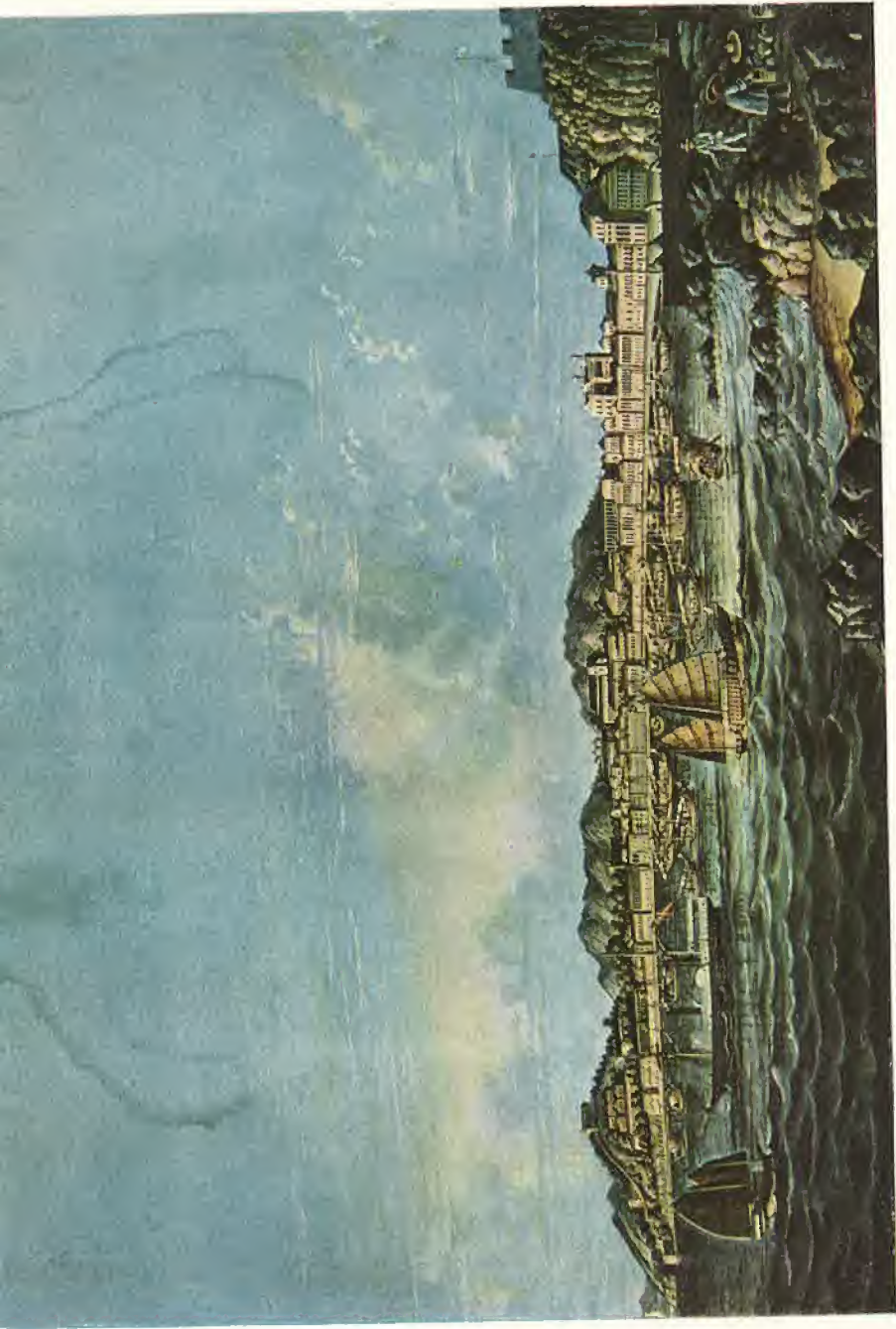
بناج. ومن سنة ١٧٨٦ اخذ النفوذ البريطانى فى شبه جزيرة الملايو. يزداد اتساعا جالبا
أعقابها الخير للحماة والحميين على السواء حتى الغزو اليابانى الأخير.

أما الدراسات الملاوية والجاوية فقد قامت بها الشعوب الأوربية على ترتيب محيى
فلما وصل القديس فرانسيس زافير إلى ملقا فى سنة ١٥٤٥ ترجم إلى اللغة الملاوية أجز
من الكتب الدينية المسيحية، بينما أعد المبشرون الهولنديون أول ترجمة للكتاب المقدس. وكان
أول الجليزى قام بالدراسات الملاوية قياما ممتازا هو وليم مارسدن (William Marsden)، وهو
صهر تشارلز ولكنز. ولد مارسدن فى فرفال، قاطعة وكلو فى سنة ١٧٥٤، وتعلم فى دبلن وعزم على
الالتحاق بكلية الثالوث ولكن أخاه نصحه بالدخول فى خدمة شركة الهند الشرقية فاستمع إلى
نصحه ووصل إلى بنكولن فى سنة ١٧٧١. وأقام فى سومطرة ثمانية أعوام ترقى فيها حتى صار
السكرتير الأول. ثم ترك وليم وأخوه جون خدمة الشركة، وفى سنة ١٧٨٥ بدأ وكالة هندية
شرقية فى شارع جاور بلندن وهذا أدرّ عليها الربح الجزيل. ثم نشأ عن الظروف العسيرة
التي تلت اعتلاء نابليون لندوة السلطان والقوة أن حتى السقى أمد هوايتهم (حتى الإدارات
الحكومية البريطانية) بأذهانه الخفية الراجعة. وهكذا لجّد مارسدن فى سنة ١٧٩٥ يقبل وظيفة
السكرتير الثانى للأميرالية، ويترقى حتى يصير السكرتير الأول فى سنة ١٨٠٤. وهكذا كان له
فخر أن يخدم وطنه فى منصب عظيم المسئولية حين نشبت معركة الطرف الأغر. وفى ١٨٠٧
استقال مارسدن من الأميرالية ووقف سنه التسع والعشرين الباقية على دراساته الحية. وكان
عنده مجموعة فيسة من النقود الشرقية كان هو عمدة يوثق به فى شأنها، وقد أهداها إلى
الأمة فى سنة ١٨٣٤. ومجموعته من المخطوطات الملاوية توجد الآن فى مكتبة معهد الدراسات
الشرقية والأفريقية بجامعة لندن. وكان أهم ما نشره (تاريخ سومطرة) سنة ١٧٨٣ الذى أنشئ
عليه سوذى، و(قاموس وأجرومية للغة الملاوية) سنة ١٨١٢، و(المسكوكات الشرقية)
١٨٢٣-١٨٢٥. وقد قام أيضا بترجمة ماركو بولو. هذا وقد كان مارسدن أحد مؤسسى
الجمعية الآسيوية الملكية وقد صار أمين خزانها ووكيل رئيسها.

كان منشئ سنغافورة، السير ستامفورد رافلز (Stamford Raffles) (١٧٨١ - ١٨٢٦)
يتبع فى معاملته للأسيويين سياسة مليئة بالإنسانية والرحمة، ومن ذلك أنه ولع أشد الولع
بالدراسات الملاوية وتحدث بهذه اللغة بطلاقة وإن كان لم يجد محوها، ولقد أهلت كفايته
لأن يكون مترجما للحكومة وترجمانا بضع سنين. ومخطوطاته المحفوظة الآن بوزارة الهند والجمعية
الآسيوية الملكية تشهد باهتمامه بمختلف شئون المعرفة والثقافة، وكان هذا الاهتمام أحد الحوافز
التي دفعت إلى تأسيس حدائق الحيوان بلندن. وربما كان أهم من كتابه (تاريخ جاوة) ما قام به
من تشجيع الآخرين والفتح فى حماسهم، ويلزمنا أن نذكر من هؤلاء جون ليدن
(John Leyden). ومسقط رأسه اسكتلندا، وكان من خاصة أصدقاء السير والتر سكوت. التحق
ليدن بمجموعة شركة الهند الشرقية وتوجه إلى مدراس كجراح مساعد، ولكنه تحول بعد ذلك
إلى دار السبك بكلكتا. وكان ليدن ابن راعى غنم، ولد فى نفس القرية الاسكتلندية الضئيلة

١٠٣
١٠٤
١٠٥
١٠٦
١٠٧
١٠٨
١٠٩
١١٠
١١١
١١٢
١١٣
١١٤
١١٥
١١٦
١١٧
١١٨
١١٩
١٢٠
١٢١
١٢٢
١٢٣
١٢٤
١٢٥
١٢٦
١٢٧
١٢٨
١٢٩
١٣٠
١٣١
١٣٢
١٣٣
١٣٤
١٣٥
١٣٦
١٣٧
١٣٨
١٣٩
١٤٠
١٤١
١٤٢
١٤٣
١٤٤
١٤٥
١٤٦
١٤٧
١٤٨
١٤٩
١٥٠
١٥١
١٥٢
١٥٣
١٥٤
١٥٥
١٥٦
١٥٧
١٥٨
١٥٩
١٦٠
١٦١
١٦٢
١٦٣
١٦٤
١٦٥
١٦٦
١٦٧
١٦٨
١٦٩
١٧٠
١٧١
١٧٢
١٧٣
١٧٤
١٧٥
١٧٦
١٧٧
١٧٨
١٧٩
١٨٠
١٨١
١٨٢
١٨٣
١٨٤
١٨٥
١٨٦
١٨٧
١٨٨
١٨٩
١٩٠
١٩١
١٩٢
١٩٣
١٩٤
١٩٥
١٩٦
١٩٧
١٩٨
١٩٩
٢٠٠





مكاو - المدينة الصينية
صورة ملونة بالألوان المائية من صنع فنان صيني . القرن التاسع عشر .

ولد فيها السير جيمز مَرِي أعظم مدوني المعاجم اللغوية بيننا، وكان ليدن على ظملا لا يروى اللغات وقد أجاد منها لغات كثيرة، وساعد في ترجمة الكتاب المقدس إلى عدة لغات شرقية. ثم قضى مع رافلز ثلاث سنوات في بنانج. وترجم جزءا من (أخبار الملايو التاريخية). ثم جع إلى الهند وسحب اللورد متو في رحلته إلى جاوه حيث مات بالحمى ولم يعد الخامسة لثلاثين من عمره. كان من أوائل من قطنوا سنغافورة عقب أن أنشأها رافلز، جون كروفرد، المولود إسلي، درس الطب في أدنبره وذهب إلى الهند كجراح في سنة ١٨٠٣ والتحق بخدمة الجيش بالولايات الشمالية الغربية مدة خمس سنوات. ولما نقل إلى بنانج في سنة ١٨٠٨ أجاد اللغة الملاوية بجاوة عظيمة حتى أن اللورد متو أخذه إلى جاوه حيث خدم إلى أن أعيدت الجزيرة إلى مولندا في سنة ١٨١٧. ولما عاد إلى إنجلترا نشر في سنة ١٨٢٠ (تاريخ مجموعة الجزائر الهندية) وهو كتاب كان ممتازا في يومه ولكنه الآن ذو قيمة أثرية محضة. وكان أكبر اهتمام كروفرد موقوفا على الهند الصينية، ولكنه في سنة ١٨٥٢ أصدر كتاب نحو وقاموسا للغة الملاوية، وفي سنة ١٨٥٦ أصدر (القاموس الوصفي لجزائر الهند والأقطار المجاورة).

أولئك هم مؤسسو التقليد البريطاني في الدراسات الملاوية. ويعزى إلى ما تركوه من تأثير ما ألف من مؤلفات مثل (المستعمرات البريطانية في خليج ملقا) بقلم الكابتن توماس جون نيوبولد زميل الجمعية الملكية. (وشبه جزيرة الملايو) ١٨٣٤ بقلم الكابتن نجبي الضابط بمدرسة مدراس. و(صحيفة جزائر الهند وشرقي آسيا) التي أصدرها جيمز رتشارد لوجن وكان أيضا يمدحها بأكثر المقالات. وقد قام السير وليم مكسويل وهو ابن كبير المستشارين في مستعمرات الخليج بتأليف (المجمل في اللغة الملاوية) وهو كتاب استفادت منه أجيال عديدة من الطلاب، ولكن لعل أعظم ما سيخلد اسمه ما ألفه من رسائل قيمة على قانون الملايو وتاريخها وأساطيرها الشعبية. وكان مكسويل سكرتير المستعمرات بسنغافورة ثم عين حاكما لساحل الذهب. وفي خلال تبعه لحلة أشاتني أصيب بحمى المياه السوداء وتوفي في طريق العودة إلى الوطن.

وثاني العلماء المبرزين في الملاوية هو رتشارد جيمز ولكنسون (Richard James Wilkinson). الذي ولد بأزمير في سنة ١٨٦٧ وتوفي بها سنة ١٩٤٠. وكان أيضا سكرتير المستعمرات بسنغافورة ثم صار حاكما لسيراليون. ولقد وقف أربعين عاما على تصنيف قاموس ملاوي-الإنجليزية سيقى أمدا طويلا أجود كتاب في موضوعه، وقد أسس (رسائل عن الموضوعات الملاوية)، وأشرف على إصدارها وحرر فيها، وهي صحائف نفخت في الأبحاث التالية روح التشجيع. ولكن الرجل الذي قام بأعظم قسط في إعلاء شأن الدراسة البريطانية في الملاوية هو السير رتشارد ونستد (Richard Winstedt). وقد اشتهر بخدماته الرسمية لنشر التعليم الملاوي وبخاصة الدارج والفنّي، كما أنه قام بعدد كبير من الأبحاث الجادة ونشر كتبها هامة كثيرة عن تاريخ الملايو وأدبها ولغتها، ومن أهم كتبه (تاريخ الملايو) و(تاريخ الأدب الملاوي) و(قاموس الإنجليزي-ملاوي) و(شامان سايفا وصوفي) والكتاب الأخير دراسة للسحر

الملاوى . كما أنه أسدى إلى المتعلم خدمة جليلة بتأليفه ثلاثة كتب عن النحو الملاوى وقاموسا
للفئة الدارجة ، كما أنه أصدر للملاويين أول تاريخ لبلادهم بلغتهم الملاوية . ومن النصوص
التي قام بطبعها (بأثن ملايو) وقد ترجمت مقدمة هذا الكتاب إلى الفرنسية والهولندية
والألمانية ، ومجموعة من الحكايات الشعبية ، وترجمة ملاوية لقصص البغواء الفارسية ، وأقدم
نص لكتاب (أخبار الملايو التاريخية) وهو نص لم يكن معروفا قبل أن قام هو بطبعه ونشره .
إن الانجليز الذين أسدوا أعظم الأيادي إلى الدراسة اللغوية الملاوية كانوا حكاما
إداريين امتازوا بإنسانيتهم وخدمتهم للشرقيين . فليس من شك أن الأجيال القادمة من الانجليز
الذين سيذهبون إلى الشرق ليعملوا بريطانيا والملايو ، سيحذون حذو أولئك العظماء الذين
تقدمهم ، ويقومون بدراسات لا تقل نجاحا في ما لسكان جزائر الهند المحبوبين من لغات
وثقافات رائعة بديعة .

كان البرتغاليون أسبق الذين يعموا شطر الصين كما كانوا أسبق من توجه إلى سائر
الأقطار الشرقية . فقد وصل اندراد إلى كاتون في سنة ١٥١٧ . وقد حصلوا على إذن باحتلال قسم من
ماكافو في سنة ١٥٥٧ . ثم قام الروس بعثات إلى بكين في سنتي ١٥٦٧ و ١٦١٩ ولكنها باءت بالفشل .
أما الأسبانيون فالتجروا مع فوكين من سنة ١٥٧٥ ، واستقر بالهولنديين المقام في فرموزا في
سنة ١٦٢٤ . وفي سنة ١٦٣٦ ترأس جون ودل رحلة بحارية نيابة عن السير و . كورتيز ،
وتوغلت هذه السفرة حتى وصلت إلى كاتون ، وقد قص قصة هذه المغامرة العظيمة بتر
مندي ، وهو تاجر أبحر مع ودل . وقد كان إقدام كورتيز متحمدا لما منحه شركة الهند
الشرقية من حقوق بموجب مرسومها ، ولكن أشغاله ضمت إلى أشغال الشركة ووحدتا معا .
في سنة ١٦٤٩ . على أن المتاجرة لم تؤسس على نطاق واسع إلا في خلال القرن الثامن عشر .
وقد أرسلت بعثات دبلوماسية إلى البلاط الإمبراطوري ترأسها اللورد ماكرتي في سنة ١٧٩٢
واللورد امهرست في سنة ١٨١٦ ، ولكنها أخفقت في تأسيس العلاقات الطيبة بين القطرين ،
ولم يبدأ التمثيل السياسي للمستعمر إلا في سنة ١٨٥٣ . وفي أثناء ذلك نشطت حركات من
نوع آخر كان لها أعظم تأثير على تنمية الدراسة البريطانية للمعرفة الصينية . ففي بداية القرن
التاسع عشر بدأ المبشرون من مختلف الكنائس البروتستنتية يتوافدون إلى الصين وابتدأوا
يتعلمون باجتهاد لغة البلاد كتمهيد لا بد منه للتبشير الذي رجوا أن يقوموا به . وسرى
أن المبشرين يرجع إليهم أكثر الفضل في التقدم الرائع الذي حدث في الدراسات الصينية منذ
عام ١٨٠٧ .

أول الانجليز عرف عنه أنه ألم بالصينية هو رجل اسمه لويد ، عين في سنة ١٦٩٩
في مجلس من خمسة أعضاء مهمته مساعدة رئيس شركة الهند الشرقية في الصين . وفي سنة
١٧٥٥ أرسلت الشركة جيمز فلنت لطلافته في الصينية ليبدأ الاتجار في نينجو وتشوزان .
وقد فشلت بعثته إذ صدر مرسوم إمبراطوري يأمر بتركيز كل تجارة أجنبية في كاتون باستثناء
التجارة الروسية . ولكن فلنت بدلا من أن يرحل إلى الجنوب استمر حتى وصل إلى تانسين .

	弓		象		眼
	弩		蝦		耳
	戟		蟾		手
	劍		鷄		脚
	笛		鵝		身
	簫		梳		頭
	斧		剪		農
	椎		剃		馬

مفردات صينية . من « المجموعات الشرقية »

سنة ١٧٩٨

وفي سنة ١٧٥٩ عاد إلى تنجو، ولكنه لما توجه إلى كاتون ألقى القبض عليه وسجن، وأبقى في السجن برغم كل الاحتجاجات إلى أن غادر الصين نهائياً في سنة ١٧٦٢. لم يكتب لويد أو فلتن عن الصينية شيئاً بقي، فلم تظهر الكتب الإنجليزية الأولى عن الصينية إلا في العقد الثاني من القرن الماضي. حقا كان المبشرون الكاثوليكيون الأول قد كتبوا كتباً صغيرة لاستعمالهم الخاص، ولكن هذه لم تطبع، وفي سنة ١٧٠٣ طبع أول أجرةومية أوربية وكان طابعها فرنسيسكو فارو وهو راهب دومينيكي. أما البداية الحقة للدراسة البريطانية للغة الصينية فقد قام بها مارشمان وموريسون ومدهيرست.

ولد يوشع مارشمان (Joshua Marshman) في سنة ١٧٦٨ لأب تساج، وبعد حصوله على تعليم قروى أولى التحق كصبي لبائع كتب في لندن اسمه كيتز، ولكنه بعد خمس سنوات انتفع فيها بقراءة كل ما وقعت عليه يده، عاد فزامل والده في إدارة النول. وفي سنة ١٧٩٤ ظفر مارشمان بتعيينه مدرسا بالمدرسة المعمدانية في برودميد بيرستول، وقد دفعته قدوة وليم كيري الملهم إلى التطوع للذهاب إلى الهند، وفي سنة ١٧٩٩ وصل إلى سرامبور، حيث اشتغل مع كيري في تحضير ترجمات للكتب المقدسة إلى عدة من اللغات الهندية، كما أننا رأينا أنه عاونه في تأليف التقرير اللغوي الذي صدر سنة ١٨١٦. ولكنه لم يكتف بحبس اهتمامه على الدراسات الهندية، بل أجاد اللغة الصينية إجادة مكنته من أن يطبع في سرامبور أول ترجمة إنجليزية لأقوال كنفيشوس. ثم أتبع هذا العمل في نفس السنة (١٨٠٩) برسالة عن حروف اللغة الصينية وأصواتها، وفي سنة ١٨١٤ بأجرةومية للغة الصينية. وإلى مارشمان أيضاً يرجع الفضل في عمل أول ترجمة كاملة للكتاب المقدس إلى الصينية، وكان هذا أول كتاب صيني طبع من قوالب معدنية يمكن صفها. لم يقدر لابن التساج هذا أن يعود من ميدان التبشير، بل مات في سرامبور في سنة ١٨٣٧. وهكذا عاش ثلاثة أعوام بعد وفاة روبرت موريسون (Robert Morrison)، الذي أرسل إلى الصين في سنة ١٨٠٧، أرسلته الجمعية التبشيرية بلندن كأول ممثل لها. كان مسقط رأسه نورثمبرلند، والتحق بعمل صانع لقوالب الأحذية، ولكنه إذ أجد نفسه في التعلم بين اثنتي عشرة ساعة وأربع عشرة ساعة في اليوم الواحد لحج في دراسة اللاتينية واليونانية والعبرية، وكان يقطع من مكعبه الضئيل ما يدفع به أجر معلمه. قبلت الجمعية التبشيرية بلندن تكريسه بين رجالها الدينيين، فعلم الطب والفلك واستنسخ في المتحف البريطاني نسخة للأناجيل صفها اليسوعيون وطابقوا فيها بين النصوص المتقابلة. وبعد ذلك ولى وجهه شطر الصين. وإذا كان مستحيلاً عليه أن يقوم بالتبشير جبراً في ذلك الوقت، قبل وظيفة ترجمان لشركة الهند الشرقية. وفي سنة ١٨١٧ صاحب اللورد امهرست في بعثته الحاشية إلى بكين. ولم يظفر بعد جهوده مدى خمسة وعشرين عاماً في الصين إلا بعشرة اعتنقوا المسيحية، ولكن ثمرات دراساته اللغوية كانت أكثر غزارة. وأعظم مصنف له قاموس ضخمة للصينية في ستة مجلدات، طبع على نفقة شركة الهند الشرقية بين سنتي ١٨١٥ و ١٨٢٣. ولقد قام منافسه الأوربي في الدراسة الصينية، واسمه كلايروت، بهجوم عنيف على هذا المصنف الجليل، واتهم مؤلفه بأنه أغار على كتاب

لمبشر كاثوليكي ادعى أن لديه نسخة منه. ولكن موريسون قدر له أن يعيش حتى يرى شرفه
يرد إليه كاملاً. ثم إنه طبع أجرومية اللغة الصينية وأُشرف على طبع ترجمة للكتاب المقدس في
واحد وعشرين مجلداً. وقد ولد له ابن في مكاو، وهو جون روبرت موريسون (١٨٤٣-١٨٤٣)
تعلم في إنجلترا وفي ملقا، وخلف والده كسكرتير وترجمان صيني لمراقبي التجارة البريطانية،
وشارك مدهيرست واثنين آخرين في إصدار ترجمة جديدة للكتاب المقدس، وقد مات بالملاريا
في هنجكنج، ووصف السير هنري بوتنجر وفاته بأنها «كارثة قومية أكيدة».

أما ثالث الرواد البريطانيين في الدراسات الصينية فهو والتر مدهيرست (Walter Medhurst).
ولد في لندن، وتخرج في مدرسة كنيسة القديس بولس، ثم تعلم الطباعة، وفي سنة ١٨١٦
قصد إلى ملقا إذ عهد إليه أمر طبع كتب المبشرين. وكرّس في سنة ١٨١٩. درس الملاوية
والصينية، وارتحل في جزائر الهند الشرقية، شاغلاً مناصب في أوقات مختلفة في بنالنج وبتافيا.
وبعد ذلك استقر به المقام في شنغهاي. وبينما كان في بتافيا نشر مجموعة مفردات الإنجليزية ويابانية.
ويقال إنه قام بطبع ٥٩ كتاباً صينياً وستة كتب ملاوية و ٢٧ كتاباً الإنجليزية، وأشهرها قاموسه
الصيني الإنجليزي في مجلدين وكتابه (محاورات صينية). وكان ابنه السير والتر هنري مدهيرست
هو الآخر عالماً كفءاً بالصينية، وقد شغل عدة مناصب رسمية هامة في الصين. هذا وأبرز
علماء الصينية من البريطانيين بالقرن التاسع عشر هو جيمز ليغ (James Legge) الذي ولد في
هنتلي سنة ١٨١٤ وتخرج في أبردن باسكتلندا. أرسلته الجمعية التبشيرية بلندن إلى ملقا سنة
١٨٣٩. وبعد ذلك بأربع سنوات نقل الكلية الأنجلو صينية إلى هنجكنج، حيث أقام إلى سنة
١٨٧٣. وفي سنة ١٨٧٦ أنشئ كرسي اللغة الصينية في أكسفورد، وكان لج أول من احتله.
وكان عالماً نابغة مجتهداً، وقد وضع نصب عينيه في سنة ١٨٤١ أن يترجم الكلاسيكات الصينية بأجمعها،
وقد أتم هذا المجهود العظيم قبل وفاته بقليل. ثم إنه قد ألف مجلدات كثيرة عن الصين عموماً،
من بينها دراسات لكنفشيوس ومينسيوس وكتاب (ديانات الصين) ١٨٨٠. وترجمته لمتنجات
أقوال كنفشيوس هي - وإن صبغتها وجهة نظره التبشيرية - شاهد رائع على سعة علمه، كما
أنها تفوقت على كل ما تقدمها من ترجمات.

لعل أشهر اسم بريطاني في تاريخ الدراسات الصينية هو جايلز (Giles)، جايلز الأب،
وجايلز الابن أيضاً، فلقد قام كلاهما بأعظم الخدمات للدراسات الصينية، واتبعا بذلك سنة
الدارسين البريطانيين للصينية إذ كثيراً ما خلف منهم الابن أباه في حب هذه الدراسات. أما
هربرت ا. جايلز فقد ولد في سنة ١٨٤٥ وتعلم في تشارترهاوس، والتحق بالخدمة القنصلية في
الصين في سنة ١٨٦٧، وبعد أن خدم المصالح البريطانية أكثر من ستة وعشرين عاماً استقال،
فاتخب بعد ذلك بأربع سنوات أستاذاً للصينية في كبردج. وقد شغل جايلز هذه الأستاذية
خمس وثلاثين عاماً بكفاءة ممتازة، وشرفه جمعيات علمية كثيرة في هذه البلاد وفي خارجها.
وتوفي سنة ١٩٣٥ وقد بلغت سنه التاسعة والثمانين. وإن قائمة مطبوعاته الكثيرة التي أصدرها
لهي تاج ما يزيد على خمسة وخمسين عاماً، مبتدئة بترجمة للوحيينوس ومنتهية بكتاب (نكات من

كتاب مآزحات صيفي). وفي خلال هذه المدة كتب عن كل موضوع مختص بتاريخ الصين ولغتها وأدبها. وقد فازت كتبه مرتين بمكافأة ست جوليان من الأكاديمية الفرنسية، ثم جعل عضوا في هذه الأكاديمية في سنة ١٩٢٤. وأعظم كتاب من بين كتبه الكثيرة التي سيقدر لها الخلود قاموسه الصيني الإنجليزي المشهور الذي يشتمل على ما يقرب من ١٤٠٠٠ حرف، وهو أجود قاموس من نوعه في أية لغة من اللغات. وأما الابن، ليونل جايلز (Lionel Giles) فقد اعتزل من قريب مهمة الإشراف على قسم الكتب والمخطوطات الشرقية في المتحف البريطاني. وهو أيضا عالم ممتاز بالصينية أصدر كثيرا من المؤلفات القيمة. وأغلبنا يعرف اسم آرثر ويلي (Arthur Waley)، صاحب الترجمات البديعة من الشعر الصيني والياباني التي زاد بها غنى الأدب الإنجليزي وأثبت مرة أخرى أن في الإمكان أن يكون المستشرق شاعرا أيضا.

هنا لا بد لنا أن نختتم حديثنا الإجمالي عن المستشرقين البريطانيين. لقد ارتحلنا في أكثر أصقاع الدنيا، ورأينا رجالا ولدوا في شتى الطبقات والبلدان من الجزائر البريطانية، يغادرون هذه السواحل ليدرسوا ثقافات كثير من الحضارات القديمة الأثيلة المجد، أو يسعون هذه الثقافات فيها وهم في عزلة مكتباتهم الخاصة. فإما من أسلوب لغوي عجزت العقول البريطانية عن إجادته. ولا من فكر كان أغمض من أن تفهمه الأرواح البريطانية. هؤلاء الرجال، ورفاقهم الذين لا يحصيهم العدد ممن لم تذكر أسماؤهم في صفحاتنا هذه، أقبلوا على الاستشراق ليجدوا فيه ترويجا للنفس وترويجا لمناعب العمل الرسمى، فأحكموا للتفاهم الدولي روابط أوثق وأمتن من أن تفرى.

حقا إن ما أسعده به الحظ بريطانيا من مكانة ممتازة في الشرق كان السبب الأعظم والحافز الأكبر للدراسات الشرقية في هذه البلاد، ولكن علينا أن نعلم النظر حتى نستكشف الدوافع التي حملت مستشرقينا على هذه البغية العجيبة المستعرة. ولعله يسمح لكاتب هذه السطور وهو يحاول حل هذا المشكل أن يستشهد بتجربته الشخصية. لقد بدأ حياته كما بدأها ليدن ومارشمان وبالمر، دون حقوق ممتازة ورثها بمولده، ولكن أسعده الحظ بنحير الميزات جميعا، وهي والدان قدما إليه كل تشجيع في ظمئه للدرس والتعلم. كان والده مجارا طاف بالككرة الأرضية وقضى سنوات كثيرة في الشرق الأقصى قبل أن يولد ولده. فلعل شغف الكاتب بالشرق أمر وراثته إلى حد طفيف. وفي المدرسة انتفع بما وهب من ذاكرة جيدة مكنته من تعلم لغات عديدة، وإذا كان لا يزال صيا بدأ يتعلم العربية. ولما كان لزاما عليه أن يعد نفسه لمهنة يمتنها، اضطر إلى أن يقف مجهوده على مهمة الحصول على درجة علمية مضمونة. حتى إذا تم له هذا شجعت كليته على إرواء ظمئه إلى اللغات الشرقية، وتسفى له بعد ذلك أن يزور الأقطار التي أثارته شعوبها وثقافتها فضوله واهتمامه. إذ ذاك عثر على الحقائق التي تبرر ميله الغريزي: وهي أنه برغم فوارق اللون والجنس والدين والمناخ والثرية، هو يشعر بتشابه شديد عميق يربطه بفكر الشرق وروحه ويعاود على كل الاختلافات الثانوية. فهو بالإيجاز يستطيع أن يقول مع تيرينس: «أنا إنسان: لست أعد أى شيء إنسانى أجنيا عني». فين الشخص في الغرب وأخيه

الإنسان في الشرق لا يوجد حاجز لا يستطيع تحطيه، بل توجد إنسانية مشتركة تنوق إلى التحقيق. وفي السنوات القادمة، حين يعاد بناء الدنيا، وتتمخض آسيا كما تتمخض أوروبا عن مشكلات خطيرة تتطلب الحل، حينذاك، إذا كان سيقدر للحضارة نفسها أن تستنقذ، يتجلى أن «تسليات» الرواد البنغاليين، التي استرسل فيها بعدهم من خلفهم، قد لعبت دورا بالغ الأهمية في تنمية روح الاحترام الحق والتعاطف بين الشعوب، تلك الروح التي تكون الأساس الوحيد لمجتمع أفضل وسلام أبقي.



المستشرقون البريطانيون

- | | |
|--------------------------|---|
| هـ. كولبروك، ١٧٦٥-١٨٣٧ | أديلارد المولود في باث، القرن الثاني عشر |
| ج. هنلي، ١٧٦٥-١٨٢٧ | روبرت المولود في تشستر، القرن الثاني عشر |
| ج. مارشمان، ١٧٦٨-١٨٣٧ | ذانيال المولود في مورلي، القرن الثاني عشر |
| ج. ليسن، ١٧٧٥-١٨١١ | ميكائيل سكوت، القرن الثالث عشر |
| م. لفسدن، ١٧٧٧-١٨٣٥ | و. بدويل، ١٥٦١-١٦٣٢ |
| س. رافلز، ١٧٨١-١٨٢٦ | ج. جريفز، ١٦٠٢-١٦٥٢ |
| ر. موريسون، ١٧٨٢-١٨٣٤ | ا. بوكوك، ١٦٠٤-١٦٩١ |
| ج. دُ، ١٧٨٢-١٨٣٥ | ا. كاستل، ١٦٠٦-١٦٨٥ |
| ج. كروفورد، ١٧٨٣-١٨٦٨ | ا. بوكوك الصغير، ١٦٤٨-١٧٢٧ |
| هـ. ولسن، ١٧٨٦-١٨٦٠ | س. أوكللي، ١٦٧٨-١٧٢٠ |
| و. مدهيرست، ١٧٩٦-١٨٥٧ | ج. سيل، ١٦٩٧-١٧٣٦ |
| ج. ترنور، ١٧٩٦-١٨٤٣ | و. جونز، ١٧٤٦-١٧٩٤ |
| ت. ب. براون، ١٧٩٨-١٨٥٤ | ف. جلادوين، توفي حوالي ١٨١٣ |
| د. فوربز، ١٧٩٨-١٨٦٨ | ت. ولكنز، حوالي ١٧٤٩-١٨٣٦ |
| ج. برنيس، ١٧٩٩-١٨٤٠ | ك. ماكنتزي، حوالي ١٧٥٣-١٨٢١ |
| ب. هـ. هودجسن، ١٨٠٠-١٨٩٤ | و. مارسدن، ١٧٥٤-١٨٣٨ |
| ا. و. لين، ١٨٠١-١٨٧٦ | و. كيري، ١٧٦١-١٨٣٤ |
| و. كيورتن، ١٨٠٨-١٨٦٤ | د. برايس، ١٧٦٢-١٨٣٥ |

ه. ه. مورث، ۱۸۴۲-۱۹۲۳
 ت. و. رایس دافینز، ۱۸۴۳-۱۹۲۲
 ت. دوق، ۱۸۴۳-۱۹۲۶
 ت. ج. لیال، ۱۸۴۵-۱۹۲۰
 ه. ا. جایلز، ۱۸۴۵-۱۹۳۵
 و. روبرسون سمیت، ۱۸۴۶-۱۸۹۴
 و. ا. مکسویل، ۱۸۴۶-۱۸۹۷
 ج. ف. فلیت، ۱۸۴۷-۱۹۱۷
 ف. ا. سمیت، ۱۸۴۸-۱۹۲۰
 ج. ا. جریرسن، ۱۸۵۱-۱۹۴۱
 ج. د. اندرسون، ۱۸۵۲-۱۹۲۰
 ف. ا. پارچتر، ۱۸۵۲-۱۹۲۷
 د. و. فرجوسن، ۱۸۵۳-۱۹۱۰
 ه. ف. آمیدروز، ۱۸۵۴-۱۹۱۷
 ا. ا. مکدونل، ۱۸۵۴-۱۹۲۶
 ج. لیستراچ، ۱۸۵۴-۱۹۳۴
 ت. بندول، ۱۸۵۶-۱۹۰۶
 ا. ج. و. جب، ۱۸۵۷-۱۹۰۱
 اللورد تشالرز، ۱۸۵۸-۱۹۳۸
 د. س. مرچلیوت، ۱۸۵۸-۱۹۴۰
 ا. ج. آلیس، ۱۸۵۸-۱۹۴۲
 ا. ا. یشن، ۱۸۵۹-۱۹۳۴
 ا. ج. راپسون، ۱۸۶۱-۱۹۳۷
 ا. ج. براون، ۱۸۶۲-۱۹۲۶
 ت. و. آرنولد، ۱۸۶۴-۱۹۳۰
 ت. و. هیج، ۱۸۶۵-۱۹۳۸
 جرترود بل، ۱۸۶۷-۱۹۲۶
 ر. ج. ولکنسون، ۱۸۶۷-۱۹۴۰
 ا. د. روس، ۱۸۷۱-۱۹۴۰

ادوارد فترجالد، ۱۸۰۹-۱۸۸۳
 ج. میور، ۱۸۱۰-۱۸۸۲
 ه. رولنس، ۱۸۱۰-۱۸۹۵
 ج. و. ردماوس، ۱۸۱۱-۱۸۹۱
 ا. توماس، ۱۸۱۳-۱۸۸۶
 ج. لچ، ۱۸۱۵-۱۸۹۷
 و. ه. مورلی، ۱۸۱۵-۱۸۶۰
 م. مونیر ولیمز، ۱۸۱۹-۱۸۹۹
 و. میور، ۱۸۱۹-۱۹۰۵
 ج. دوسن، ۱۸۲۰-۱۸۸۱
 ه. یول، ۱۸۲۰-۱۸۸۹
 ر. بیرتون، ۱۸۲۱-۱۸۹۰
 ر. ن. گنت، ۱۸۲۱-۱۹۰۹
 و. ه. مدیرست، ۱۸۲۲-۱۸۸۵
 و. ن. لیز، ۱۸۲۵-۱۸۸۹
 س. پیل، ۱۸۲۵-۱۸۸۹
 ا. ب. کاول، ۱۸۲۶-۱۹۰۳
 و. رایت، ۱۸۳۰-۱۸۸۹
 ا. آرنولد، ۱۸۳۲-۱۹۰۴
 ا. ه. ونفیلد، ۱۸۳۵-۱۹۲۲
 الیدی آن بلنت، ۱۸۳۷-۱۹۱۷
 ل. ه. میلز، ۱۸۳۷-۱۹۱۸
 ت. ه. توفی، ۱۸۳۷-۱۹۲۲
 ر. تشیلدرز، ۱۸۳۸-۱۸۷۶
 ا. ه. پالمر، ۱۸۴۰-۱۸۸۲
 و. ایرفن، ۱۸۴۰-۱۹۱۱
 و. س. بلنت، ۱۸۴۰-۱۹۲۲
 ا. ن. ولاستون، ۱۸۴۲-۱۹۲۲
 ج. کندی، ۱۸۴۲-۱۹۲۰

William Sidrak Bishay

rule 91
--

100

)